جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا

كلية الدراسات العليا

كلية التربية ـ قسم اللغة العربية

الخصائص الفنية في شعر البحتري

Stglistic Characteristics in Al. Bahtar's Poetry

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

إعداد الطالبة:
تغريد موسى محمد علي

إشراف:
د. محمد عبد القادر الصديق علي
د. بشير محمد بشير

١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

استهلال

قال الله تعالى في محكم تنزيله:

(وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانتَصَرُوا مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ) .

صدق الله العظيم

سورة الشعراء، الآيات: (٢٢٤ - ٢٢٧)

إهـــــــداء

إلى روح أخي العزيز محمد الذي وافته المنيـــة وهـــو يبحـــث مـــن أجـــل العيشة الهنيئة أسأل الله العلي القدير أن يتقبله ويجعل مثواه الجنة..

إلى من ربياني على حب العلم صغيرة وحقق الله حلمهما وأنا كبيرة

والديَّ أطال الله في عمريهما

إلى أخي قرة عيني الذي بذل قصارى جهده وضـــحى مـــن أجـــل نجاحنـــا أطال الله في عمره أخي أبا ذر..

إلى من ينافس الغيث في العطايا ويسبق الحياء في السجايا..

زوجي الغالي (أبو محمد)

إلى من تسعد عيني برؤياه ويطرب قلبي بنجواه ثمرة فؤادي (محمد)

إلى من هم أقرب إليَّ من روحي وقلبي إخواني وأخواتي..

إلى جميع الأصدقاء والزملاء..

"أهدي لكم جميعاً هذا الجهد مع تحية حب وعرفان"

شكر وعرفان

يقول الله تعالى: (لئن شكرتم لأزيدنكم) "سورة إبراهيم، الآية: ٧".

قال صلَّ الله عليه وسلم: "من لم يشكر الناس لم يشكر الله" أخرجه الترمذي.

الشكر أولاً وأخيراً لرب العالمين، فقد هيأ لي من الظروف والأحوال ما أعانني على إعداد هذا البحث فله الحمد والشكر.

كما أتقدم بأسمى آيات الشكر والعرفان لجامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا بالأخص كلية التربية قسم اللغة العربية، وكلية الدراسات العليا، والشكر لأستاذيّ الجليلين الدكتور/ **بشير محمد بشير** والدكتور/ **محمد عبد القادر الصديق علي** الذين أشرفا على هذا البحث، وإن ما جاء في هذا البحث كان ثمرة توجيهاتهما وإرشاداتهما الصادقة وسعة صدرهما وحلمهما أسأل الله العلي القدير أن يبارك له في عمريهما وأن ينفعنا بعلمهما، وأن يمتعهما بالصحة والعافية، وأن يجعلهما ذخراً لبلادنا.

والشكر أيضاً لمكتبة أم درمان المركزية الزاخرة والعاملين بها، والشكر لمكتبة كلية اللغات جامعة السودان والعاملين بها، والشكر لكل من قدم يد العون وأسهم بطريقة أو بأخرى في إخراج هذا البحث، والعذر لمن فاتني ذكرهم أو سقط اسمهم عفواً فالشكر لهم جميعاً.. أسأل الله أن يثيبهم جميعاً على ما فعلوا وأن يتقبل مني هذا العمل إنه سميع مجيب.

مستخلص

تناولت هذه الدراسة الخصائص الفنية في شعر البحتري، فالبحتري كان من الذين يدركون جيداً ما يقال لهم ويستفيدون منه، فهو لم يكن كالإبل تظمأ والماء على ظهرها محمول. هدفت هذه الدراسة إلى توضيح الجوانب الفنية في شعر البحتري من خلال أغراض شعره المختلفة طارقاً لكل هذه الأغراض، وكيف جاء شعره؛ لأنه يناسب طبيعة الدراسة من خلال عرض النماذج الشعرية وتوضيح الجوانب الفنية فيه. اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي. تناولت الدراسة في الفصل الأول التعريف بالشاعر متمثلة في مولده ونشأته، وجاء الفصل الثاني متناولاً التعريف بالديوان وأغراضه الشعرية المختلفة ومكانته بين الشعراء، أما الفصل الثالث فتحدثت فيه الدراسة عن الجوانب الفنية متمثلة في بناء القصيدة واللغة والأسلوب والصور والأخيلة والموسيقى والأوزان، وأوضحت الدراسة أن البحتري امتلك ناحية اللغة والبيان فجاءت قصائده قوية لما فيها من جمال الفن، وانطلاق الخيال، وإتقان الوصف، وأسفرت الدراسة إلى نتائج منها: اشتمل ديوان البحتري على ما يقرب من ألف وثلاثمائة قصيدة موزعة حسب النسب الآتية منها؛ الطويل ٢١%، الكامل ٢١%، الخفيف ١٧%، البسيط ٩%، السريع ٣%، الرمل ٢%، مجزؤ الكامل ١%، وقد كان البحتري متقلب المزاج في ولائه للمذاهب الدينية والسياسية. وأوصت الدراسة بدراسة شعر البحتري من الناحية التركيبية لمعرفة الانزياح النحوي والصرفي في شعره، وكذلك دراسة الموسيقى العروضية بأشعار البحتري للوقوف على ملائمة الوزن للغرض الشعري.

Abstract

This study dealt with the technical characteristics of Al-Buhtry's poetry. Al-Buhtri was one of those who were well aware of what was said to them and benefit from it, as it was not like a camel thirsty and water on its back was carried. This study aimed to clarify the technical aspects of Al-Buhtry's poetry through the various purposes of his poetry, exposing all of these purposes, and how his poetry came about. Because it suits the nature of the study by presenting poetic models and clarifying the technical aspects in it. The study followed the descriptive and analytical approach. The study in the first chapter dealt with introducing in his birth and upbringing, and the second chapter covered the definition to the divan and its various poetic purposes and its place among the poets, and the third chapter in which the study talked about the technical aspects represented in the construction of the poem, language, style, images, imagination, music and weights, and the study indicated that Al-Buhtri possessed in terms of language and rhetoric, his poems came out strong because of the beauty of art, the release of imagination, and the mastery of description. The study resulted in results including: Al-Buhtry's office included nearly a thousand and three hundred poems distributed according to the following proportions. Al Taweel 21%, Al Kamil 21%, Al Khafif 17%, Al Basit 9%, Al Sarayy 3%, Al Raml 2%, Mujza Al Kamil 1%. Al-Buhtri was capricious in his loyalty to religious and political sects. The study recommended studying Al-Buhtry's poetry from a compositional point of view to find out the syntactic and morphological displacement in his poetry, as well as studying the occasional music with Al-Buhtry's poems to determine of the weight for the poetic purpose.

فهرس المحتويات

الـمـوضـــــــوع	الصفحة
استهلال	أ
إهداء	ب
شكر وعرفان	ج
فهرس المحتويات	د
المقدمة	١
الفصل الأول	**٥ ـ ٣٩**
التعريف بالشاعر	
المبحث الأول: سيرته (مولده، نسبه، نشأته، ثقافته)	٦
المبحث الثاني: عصره	٢٠
المبحث الثالث: مؤلفاته	٣٢
المبحث الرابع: العلامات الفارقة	٣٣
الفصل الثاني	**٤٠ ـ ٦٩**
التعريف بالديوان	
المبحث الأول: شعره	٤١
المبحث الثاني: أغراض شعره	٤٤
المبحث الثالث: مكانته الشعرية	٦٥
الفصل الثالث	**٧٠ ـ ٨٠**
الدراسة الفنية	
المبحث الأول: بناء القصيدة	٧١
المبحث الثاني: اللغة والأسلوب	٧٦
المبحث الثالث: الموسيقى والأوزان	٧٧
المبحث الرابع: الصور والأخيلة	٨٢
الخاتمة	٨٦
النتائج	٨٦

التوصيات	٨٧
الفهارس العامة	٨٨
المصادر والمراجع	٩٠

مقدمة:

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، والصلاة والسلام على محمد خير خلقك أجمعين.. وبعد:

أصاب الأدب العربي في العصر العباسي موقعاً متميزاً أهلّه لبلوغ قمة مجده فغدا بذلك وجهاً مشرقاً من وجوه الحضارة العربية، وملمحاً فريداً من ملامح إبداعها، واستمر كذلك مصدر إلهام تناولته أقلام الباحثين فأغنت به مجالات الدرس والبحث والتحليل، ويجمع الدارسون على أن أبا تمام والبحتري وأبا الطيب المتنبي يمثلون قمة الشعر، ويشكلون معالم عمّقت الأدب العربي وشاركت في تطويره فاستحقت – بذلك – ما أقيم حولها من دراسات سعت – في بدايتها – عن طريق الموازنة إلى المفاضلة بين أبي تمام والبحتري، واتخذت من البديع وتوليد المعاني سبيلاً للالتماس ما بين شعر أبي تمام والمتنبي من فروق، ومن ثم الحكم على شاعريتهما.

والحق أن البحتري وبرغم إحرازه منزلة رفيعة لم يلقَ الاهتمام الذي ينصفه ويضعه إلى جانب صاحبيه إذ عنيت الدراسات قديماً بأبي تمام والمتنبي، واتخذت من شعرهما مادة للوقوف على طبيعة العمل الأدبي، والنفاذ إلى خصائص إبداعهما الفني.

هو أمر يدعو للحيرة، ذلك إذا استصحبنا تجربة البحتري التي تمثل تياراً شعرياً له مميزاته الخاصة فانقطاعه إلى خلفاء الدولة العباسية وما تم له إلى جوار المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان من معرفة وإلمام بضروب الثقافة والفكر، فضلاً عما ساد الحياة العباسية من حوار حضاري مع الثقافات الأخرى تعد جميعها عوامل فاعلة في رفد الحركة الأدبية وتحكي خبرة شاعر ناهز الثمانين مطوفاً في ظلال القرن السادس ومفيداً بكل ما يغني التجربة الفنية ويمدها بأسباب البقاء وإذ هو كذلك يتخير لنفسه موقعاً

متقدماً بين فحول الشعراء ويرسي اتجاهاً شعرياً أصيلاً في مواجهة مذهب أبي تمام والمتنبي رغم وجود تباين بينهما لا يخفى وهذا ما نجده في ديوانه الشعري الذي يحدثنا بلغة الفن عن الإنسان والتاريخ والحضارة في روى تكاد تلتقي الحس الجمالي المعاصر.

مشكلة البحث:

تتلخص مشكلة البحث في الإجابة عن التساؤلات الآتية:

١/ ما مكانة البحتري الشعرية؟

٢/ لماذا كان يكثر المدح دون غيره من أغراض شعره؟

٣/ كيف كان بناء القصيدة عند البحتري؟

٤/ كيف كان يتخير ألفاظه وتراكيبه؟

٥/ بماذا انفرد البحتري في شعره؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث في أنه يتناول عصره وحياته الشعرية وأغراض شعره، وتأتي الأهمية إلى مكانته عند أستاذه أبي تمام حيث فضله على سائر الشعراء الذين تقدم معهم.

أهداف البحث:

١/ معرفة مكانته الشعرية من خلال أغراض شعره.

٢/ توضيح الصورة الفنية من خلال شعره ومعرفة انعكاسها على نفسية الشاعر.

٣/ معرفة ألفاظه وتراكيبه.

٤/ توضيح كثرة الخيال في شعر البحتري

٥/ تبيين الناحية التي انفرد بها البحتري في شعره.

منهج البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي.

حدود البحث:

يدور هذا البحث حول البحتري شاعراً ولا يتعدى هذا الحد إلا بما تقتضه ضرورة البحث العلمي.

صعوبات البحث:

تمثلت صعوبات البحث في الآتي:

١/ ندرة المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع بشكل مستقل ومباشر.

٢/ لم توثق حياة البحتري توثيقاً كاملاً.

الدراسات السابقة:

١/ وصية أبي تمام للبحتري، الطيب بشير عثمان البشير، رسالة ماجستير، جامعة النيلين، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م.

٢/ أنواع الجملة المطبقة في شعر البحتري، مريم بشير وداعة، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٨م.

٣/ البنية اللغوية عند وصف الشاعرين البحتري وابن المعتز، عاطف محمد عبد الله الطاهر، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم.

٤/ أبو عبادة البحتري، بابكر البدوي دشين، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ١٩٧٠م.

هيكل البحث:

قسمت هذه الدراسة إلى ثلاثة فصول تسبقها مقدمة وتقفوها خاتمة مذيلة بفهارس ومصادر ومراجع وهي على النحو التالي:

الفصل الأول: التعريف بالشاعر.

المبحث الأول: سيرته (مولده، نسبه، نشأته، ثقافته).

المبحث الثاني: عصره.

المبحث الثالث: مؤلفاته.

المبحث الرابع: العلامات الفارقة.

الفصل الثاني: التعريف بالديوان:

المبحث الأول: شعره.

المبحث الثاني: أغراض شعره.

المبحث الثالث: مكانته الشعرية.

الفصل الثالث: الدراسة الفنية.

المبحث الأول: بناء القصيدة.

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب.

المبحث الثالث: الأوزان والموسيقى.

المبحث الرابع: الصور والخيال.

الخاتمة: وتشمل؛ النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

الفهارس.

الفصل الأول

التعريف بالشاعر

المبحث الأول: سيرته (مولده، نسبه، نشأته، ثقافته).

المبحث الثاني: عصره.

المبحث الثالث: مؤلفاته.

المبحث الرابع: العلامات الفارقة.

المبحث الأول

سيرته (مولده، نسبه، نشأته، ثقافته)

مولده:

ولد البحتري أو أبو عبادة الوليد بن عبد الله بن يحي الطائي بمنبج سنة ٢٠٦هـ وتوفى سنة ٢٨٤هـ[١]، وقيل بل ولد بقرية تجاورها تسمى "زردفنه" والرأي الأول أصح، لأن البحتري نفسه يكرر كثيراً في شعره "منبج" مسقط رأسه، وكانت تنزلها عشائر من طي، وهي كما يقول ياقوت في معجم البلدان: مدينة كثيرة البساتين عذبة الماء باردة الهواء، أقطعها الرشيد عبد الملك بن صالح الهاشمي، وفي ديوان البحتري مدائح كثيرة لابنه محمد ولطائفه من أسرته عاشت في منبج وحلب[٢].

وللبحتري أب طائي وأم شيبانية، وكان في عروبته الأصلية مُعماً مخولاً، ويذكر دشين بقوله[٣]: "فنحن لا نعرف اسمها ولا نسبها إلا ما نجده في شعر ابنها من إشارات تنسبها تارة إلى بنى ذهل بن شيبان مثل قوله:

وخُؤُولَتي فـ(الحْـوَفَزَان) وحـاتمٌ والخالِـدانِ الرَّافـدانِ حُمـاتي

وتنسبها تارة إلى بني ناهل في قوله:

(بَنِى نَاهِلَ) مَهْلاً فإنَّ ابْن أُخْـتِكُمْ له عَزَمَاتٌ هَـزْلُ آرائهـا جِـدُّ

وقد افتخر البحتري بخصال قومه زهواً وإعجاباً وأشاد بها في مفاخرة معدداً مآثرها في كثير من أشعاره فوصف قبيلته طيء بالبأس والجود وأرومه المجد وتفوقها على العالمين بمجدها الغابر يقول:

ذَهَبَتْ طَيِّءُ بِسَابِقَةِ المَجْدِ على العَالَمِينَ بأْساً وجُودَاً[٤]

---

[١] ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، دار الشرق العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، ص: ٥.

[٢] العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف.

[٣] أبو عبادة البحتري، بابكر البدوي الدشين، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ١٩٧٠م، ص: ٤.

[٤] ديوان البحتري، ج١، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ص: ٥٩٢.

وليس لدينا أخبار عن هيئته وصوره إلا ما روى عنه فيما بعد من أنه كان أسمر طويل اللحية، أقرب إلى القصر والنحول.

حياته:

ليس سهلاً على أن نوجز الخطوط الكبرى في حياة البحتري ذلك أن الشاعر العباسي الكبير عاش ثمانين عاماً، لم توثق حياة البحتري توثيقاً كاملاً حيث قضى حياته كلها في سفر دائب وتنقل مستمر سعياً وراء الممدوحين وعطاياهم في كل بقعة من أرجاء الإمبراطورية العباسية المترامية الأطراف، برها وبحرها، إذ يقول الصولي قال البحتري في قصيدته سهر أصابك بعد طول نعاس[١]:

وَلَقَدْ رَكِبْتُ البَحرَ في أمواجِهِ ورَكِبْتُ هَوْلَ اللَّيلِ في بَيَّاسِ[٢]

وقَطَعْتُ أَطَولَ البِلاَدِ وعَرْضَها ما بَيْنَ سِنْدانِ[٣] وبَيْنَ سِجَاس[٤]

لا يكاد يغادر الطائي أبو تمام دنيا الشعر وهو في شرخ الرجولة حتى يستلم منه علم الشعر طائي آخر مثله، شامي مثله، اسمه الوليد بن عبيد بن يحي، ولقبه البحتري نسبه إلى بحتر أحد أجداده وكنيته أبو الحسن حيناً وأبو عبادة حيناً آخر إلى أن طلب إليه المتوكل أن تكون له كنية واحدة هي أبو عبادة فبقيت له هذه الكنية مرافقة له في حياته ومصاحبة له مقرونة بلقبه بعد مماته[٥].

---

[١] أخبار البحتري للصولي، أبي بكر محمد بن يحي، تحقيق: صالح الأشتر، ط٢، دار الفكر، دمشق، ص: ١.

[٢] بياس: مدينة شرق انطاكية قريبة من البحر.

[٣] سندان: مدينة في ملاصقة السند.

[٤] سجاس: بلد بين همذان وأبهر.

[٥] الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفي الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٧٩م، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٦م، ص: ٦٨٩.

نشأته:

وقد نشأ في أحضان عشيرته يتغذى من فصاحتها ويبدو أنه اختلف مبكراً إلى الكتَّاب، فحفظ القرآن أو شطراً كبيراً منه، كما حفظ كثيراً من الأشعار والخطب، واختلف حيث شبَّ إلى حلقات العلماء في المساجد يأخذ عنهم اللغة والنحو وشيئاً من الفقه والتفسير والحديث وعلم الكلام. واستيقظت فيه موهبة الشعر مبكرة وسرعان ما أخذ يكثر من نظمه في بعض من عرفهم من عامة أهل بلدته أو كما يقول ابن خلكان من أصحاب البصل والباذنجان، وامتد به طموحه فتجاوز به بلدته إلى بلاد أكبر من حولها، إذ نراه ينزل حلب، وهناك تعرف على علوة بنت زريقة التي شغفته حباً، ويبدو أن زريقة كانت مغنية وتعرف أيضاً على صديق يسمى الذقافي مدحه ببعض شعره، وهجاه فيما بعد لاقترانه بعلوة على شاكلة قوله[1]:

نَبْتُهَا زَوْجِتُ أخَا خُنْثٍ أغْنَّ رَطْبَ الأَطْرَف ليَّنهَا

وظلت دار علوة قائمة بحلب، حتى عصر ياقوت إذ يقول: "وفي وسط البلد "حلب" دار علوة صاحبة البحتري". وقد يدل ذلك على سار الذقافي وأنه شيد لها داراً فخمة. وظلت ذكراها لا تبرح ذاكرة البحتري حتى الأنفاس الأخيرة من حياته[2].

علاقة التلميذ بالأستاذ:

واتسع برحلاته إلى حمص، وكأنما كان السعد معه على ميعاد، فإذا هو يسمع بأن أبا تمام بها والشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فعرض عليه شعره فأقبل عليه، وقال له أنت أشعر من أنشدني فكيف حالك، فشكا إليه خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان: "يصل كتابي هذا مع الوليد أبي عبادة الطائي وهو على بذاذته "سوء حاله" شاعر فأكرموه" واستقبلوه استقبالاً حسناً

---

[1] ديوان البحتري، حسن كامل الصيرفي، ص: ٢٣٢٥.

[2] شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص: ٢٧١.

ووظفوا له أربعة آلاف درهم[1]، وكان أول مال يصيبه البحتري. "الاختلاف في أول اللقاء".

ونجد أن الكتّاب أو الرواة قد اختلفوا في بداية أمر البحتري بلقاء أستاذه أبي تمام ولكن ما نراه في أخبار البحتري للصولي إذ يقول: (قال: البحتري كان أول أمري في الشعر ونباهتي فيه، أني صرت إلى أبي تمام وهو بحمص، فعرضت عليه شعري، وكان الشعراء يعرضون عليه أشعارهم، فأقبل عليّ وتركهم، فلما تفرقوا قال لي: أنت أشعر من أنشدني، فكيف حالك، فشكوت إليه خلة فكتب إلى أهل معرة النعمان، وشهد لي بالحذق في الشعر، وشفع لي إليهم، وقال: امتدحهم، فصرت إليهم بكتابه فأكرموني ووظفوا لي أربعة آلاف درهم فكان أول مال أصبته بالشعر وكتب أبو تمام للبحتري: "يصل كتابي مع الوليد أبي عبادة الطائي، وهو على بذاذته شاعر فأكرموه"[2].

ويروي صاحب الأغاني في اتصال البحتري بأستاذه أبي تمام: "قال البحتري أول ما رأيت أبا تمام أني دخلتُ على أبي سعيد محمد بن يوسف وقد مدحته بقصيدتي:

أَأفَاقَ صَبٌ مِنْ هَوًى فَأفِيقَا أَمْ خَانَ عَهْداً أَمْ أَطَاعَ شَفِيقَاً؟[3]
إنَّ السُّلُوَّ كَمْا تَقُول لَرَاحَةُ لَوْ راحَ قَلْبِي للسُّلُوِّ مُطِيقَا[4]

---

[1] شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، ص: ٢٧٢.

[2] أخبار البحتري للصولي هو أبو بكر محمد بن يحي بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين المعروف بالصولي، تحقيق: صالح الأشتر، ط٢، دار الفكر، دمشق، ص: ٥٦. البذاذة: سوء الحال ورث الهيئة. الخلة: الحاجة

[3] الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج٢١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: ٤٧.

[4] ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، ص: ٥.

فَسُرّ بها أبو سعيد، وقال: أحسنت والله يا فتي وأجدت، قال: وكان في مجلسه رجل نبيل رفيع المجلس منه فوق كل من حضر عنده، تكاد تمس ركبتهُ ركبتَه فأقبل عليّ ثم قال: يا فتى، أما تستحي مني! هذا شعر لي تنحله، وتنشده بحضرتي! فقال له أبو سعيد: أحقاً تقول: قال: نعم، وإنما علقه مني، فسبقني به إليك، وزاد فيه، ثم اندفع فأنشد أكثر هذه القصيد، حتى شككني – علم الله – في نفسي، وبقيت متحيراً، فأقبل عليَّ أبو سعيد، فقال: يا فتى، قد كان في قرابتك منا وودك لنا ما يغنيك عن هذا، فجعلت أحلف له بكل محرجة من الإيمان أن الشعر لي ما سبقني إليه أحد، ولا سمعته منه ولا انتحلته، فلم ينفع ذلك شيئاً، وأطرق أبو سعيد، وقطع بي، حتى تمنيت أني سخت في الأرض، فقمت منكسر البال أجر رجلي، فخرجت، فما هو إلا أن بلغت باب الدار حتى خرج الغلمان فردوني، فأقبل على الرجل فقال: الشعر لك يا بني، والله ما قلته قطَّ ولا سمعته إلا منك، ولكنني ظننتُ أنك تهاونت بموضعي، فأقدمت على الإنشاد بحضرتي من غير معرفة كانت بيننا، تريد بذلك مضاهاتي ومكاثرتي حتى عرفني الأمير نسبك وموضعك، ولوددت ألا تلد أبداً طائية إلا مثلك، وجعل أبو سعيد يضحك، ودعاني أبو تمام، وضمني إليه، وعانقني وأقبل يقرظني ولزمته بعد ذلك، وأخذت عنه، واقتديت به.

وفي رواية أخرى قال: "فمن أنت؟ قال من طئ، فطرب أبو تمام وقال من طئ الحمد لله على ذلك، لوددت أن كل طائية تلد مثلك، وقبَّل بين عينيه، وضمه إليه وقال لمحمد بن يوسف: قد جعلت له جائزتي، فأمر محمد بها فضمت إلى مثلها، ودفعت إلى البحتري، وأعطى أبا تمام مثلها، وخص بها[1].

---

[1] الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ص: ٤٦ – ٤٨.

ونجد أن أبا تمام أراد أن يرعى هذا الفتى رعاية يشتد معها ساعده وذلك بتعريفه إلى أهل معرة النعمان وهذا أيضاً فيه إشارة إلى مكانة أبي تمام لدى معرة النعمان والدليل على ذلك إكرامهم للبحتري، عندما عرفهم به وشهادته له بالشاعرية ومكافأته بدراهم لكي يصلح بها حاله ومن ثم يريد أن يهيئه إلى الحلم الكبير الذي يراود كليهما، وهو إمارة الشعر، إلا أن أبا تمام يرى البتحري وارثاً لإمارة الشعر بعده، لذا كان دائم التوجيه والنصح له لكي يصل إلى هذه المكانة، والدليل على ذلك قول أبي تمام: "أنت أمير الشعراء غداً بعدي"[١].

هذه المقولة رفعت من قدر البحتري وعلا شأنه لأن أبا تمام ذات نفسه يقول له: "أنت أمير الشعراء غداً بعدي" نجد أن البحتري يقول إن هذا أحب إليَّ مما حويت خاصة أن البحتري ازداد إعجابه بأبي تمام من كثير من المميزات مثل، سرعة الحفظ والارتياح النفسي وأنه وجد عنده قبول.

فمن ذلك توطدت الصلة بينهما، من خلال اللقاءين السابقين وأحب كل منهما الآخر.

لزم البحتري أستاذه، فأخذ عنه، وتعهده أستاذه بعنايته[٢]، فالبحتري كان من الذين يدركون جيداً ما يقال لهم ويستفيدون منه، فهو لم يكن كالإبل تظمأ والماء على ظهرها محمول ولا كبني إسرائيل حيث قال الله عنهم: **(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)**[٣]. بل يختمر الدرس في رأسه وينتج ما ينتجه أبو تمام على شاكلته[٤].

---

[١] وصية أبي تمام للبحتري، الطيب بشير عثمان البشير، رسالة ماجستير، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م، ص: ٧٣.

[٢] مريم بشير وداعة، أنواع الجمل مطبقة في شعر البحتري، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٨م.

[٣] سورة الجمعة، الآية: ٥.

[٤] وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين "ابن خلكان" حققه: إحسان عباس، مج٦، دار صادر، بيروت، ص: ٢٣.

مرحلة إلقاء الدروس:

إن أبا تمام يتولى البحتري ويتعهده تعهد البستاني الحاذق للنبتة الطيبة حتى تؤتي ثمرتها سوية جنية ويعبد له طريق الشعر ويرسم له مناهجه[١] ووصل الأمر بأبي تمام مرحلة جديدة وهي إلقاء الدروس على البحتري ومده بالنصائح والإرشادات ولا يبخل عليه بما يدفعه إلى النبوغ والتفوق، وخاصة أن البحتري يمتلك شاعرية أصلية وملكة ثرية العطاء واستعداداً لم يتوفر عند كثير من الشعراء الشباب المعاصرين لهم[٢].

يجلس البحتري إلى أبي تمام ذات يوم فيلقي الأستاذ على سمع تلميذه من بحر البسيط:

وسَابِحٍ هَطِلِ التَعداءِ هَتَّانِ ... عَلى الجِراءِ أَمينِ غَيرِ خَوّانِ
أَظمي الفُصوصِ وَلَمْ تَظمَأ قَوائِمُهُ ... فَخَلَّ عَينَيكَ في ظَمآنَ رَيّانِ
فَلَو تَراهُ مُشيحاً وَالحَصىْ رَيِم ... بَيْنَ السَنابِكِ مِنَ مَتنىً وَوَحدانِ
حَلَفت – إن لم تَثَبتّ – أنَّ حافِرَهُ ... مِنْ صَخرِ تَدُمرَ أَو مِن وَجهِ عُثْمانِ

وبعد أن يفرغ أبو تمام من إنشاد هذا الشعر يسأل تلميذه البحتري: ما هذا الشعر، فيجيب البحتري بأنه لا يدري، فيلقنه الأستاذ شيئاً جديداً في فن الشعر قائلاً هذا المستطرد أو الاستطراد، فيسأل وما معنى ذلك يقال إنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان. ويستمر هذا الدرس في التلميذ فلا يلبث أن ينهج نفس المنهج ويسلك نفس الطريق فيهجو حمدويه الأحول من خلال مديحه محمد بن علي عيسى القمي الكاتب ووصف للفرس والسيف[٣] وذلك في قوله[٤]:

---

[١] الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفي الشكعة، ص: ٦٩٢.

[٢] أدباء العرب في العصور العباسية، طبعة جديدة، دار نظير عبود، بطرس البستاني، ص: ٢١٤.

[٣] أدباء العرب في العصور العباسية، ص: ٦٩٣.

[٤] حنا الفاخوري، شرح الديوان، ص: ٢٧٤ – ٢٧٥.

أَغَرَّ في الـزَّمَنِ البَهِـيمِ مُحَجَّـلٍ قد رُحْتُ مِنْهُ عَلَى أغرَّ مُحَجَّـلِ
كالهَيْكلِ المَبْنِيِّ إلاَّ أنَّهُ في الحُسْـنِ جـاءَ كَصُـورةٍ فـي هَيْكَـلِ
وَافي الضُّلُوع يُشَد عَقْـدُ حِزَامِـهِ يَوْمَ اللِّقَاءِ عَلَـى مُعِـمٍّ مُخْـوِلِ
أَخْوالُـهُ للرُّسْـتُمِينَ بِفَـارِسٍ وجُـدُودُهُ للتُّبعِـينَ بِمَوْكَـلِ
يَهْوِى كَمَا تَهْوِي العُقَابُ وقد رَأَتْ صَيْداً وَيَنْتَصِبُ انْتِصَاب الأَجْدَلِ
مُتَـوَجِّسٌ بِـرَقِيقَتَيْنِ كأَنَّمـا سُرَيَانِ من وَرَقٍ عَلَيهِ مُوَصَّـلِ
ما إنْ يَعَافُ قَـذى ولـو أَوْرَدْتَـهُ يَوماً خَلاَئِقَ حَمْدَوَيْهِ الأَحْـوَلِ[1]

وكان حمدويه هذا عدو الممدوح وقال الصـولي للبحتـري: احتـذيت فـي شعرك هذا ما احتذاه أبو تمام في قوله:

.. .. أَو مِـن وَجـهِ عُثْمـانِ

وقد عيب هذا عليك، فقال: ألام على تبعي لأبي تمام! ما علمت بيتاً قط حتى أخطر ببالي شعره! وأنا أسقط البيت من قصيدتي. قال أبـو محمـد عبـد الله بـن الحسين: فلذلك ترى هذا البيت في النسخ القديمة ولا تراه في غيرها[2].

وتتقدم الأيام بكل من الأستاذ والتلميـذ حتـى يبلـغ التلميـذ ذروة إجادتـه وينشد أستاذه من الشعر ما يمتلئ به إعجاباً، فـلا يلبـث الأسـتاذ أن يـردد بيـت أوس بن حجر:

إذا مقـرمٌ منّـا ذرا حـدّ نابـه تخمّط فينا نـاب آخـر مقـرم[3]

فقال نعيت والله إلى نفسي! فقلت أعيذك بـالله (مـن هـذا) فقـال لـي: إن عمري ليس يطول وقد نشأ مثلك لطـئ، (أمـا) علمـت أن خالـد بـن صـفوان المنقري رأي شبيب بن شيبه – وهو من رهطه – يـتكلم فقـال: يـا بنـي نعـى

---

[1] حنا الفاخوري، شرح الديوان، ص: ٢٧٥.

[2] أخبار البحتري، الصولي، ص: ٥٩ – ٦٠.

[3] الشعر والشعراء، مصطفي الشكعة، ص: ٦٩٥.

نفسي إلى إحسانك في كلامك، لأنا أهل بيت. ما نشأ فينا خطيب إلا مات من قبله. قال: فمات أبو تمام بعد سنه من قوله هذا[1].

وظل البحتري بعد وفاة أبي تمام مخلص له والوفاء يلازم أبا تمام طول حياته وكل مناسبة يذكر فيها اسمه أو يرد فيها شعره[2].

وفاء البحتري لأبي تمام:

يقول الصولي: قلت للبحتري: الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام! فقال: والله ما ينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كما قالوا، ولكني والله تابع له لائذ به آخذ منه، نسيمي يركد عند هوائه وأرضي تنخفض عند سمائه. ويقول الصولي أيضاً وهذا من فضل البحتري أن يعرف الحق، ويقر به ويذعن له وإن لأراه يتبع أبا تمام ومعانيه حتى يستعير مع ذلك بعض لفظه، فلا يقع إلا دونه، ويعود في بعضها طبعه تكلفاً، وسهله صعباً، ومن ذلك قوله (أبو تمام):

يستَنْزِلُ الأمَلَ البعيدَ بِبِشْرِه ... بُشرَى المخيلة بالربيعِ المُغْدِقِ
وكَذَا السحائبُ قلْ مَا تَدْعُو إلى ... معروفها الرواد ما لم تَبْرُقِ

قال البحتري:

كانت بشَاشتُك الأولى التي ابتدأَتْ ... بالبِشْرِ ثُمَّ اقتبلْنا بعدها النِّعَما
كالمُزْنَةِ استَؤبَقَتَ أُولَى مخيلتِها ... ثم استهلَّتْ بغُزْرِ تابَعَ الدِّيَما[3]

أيضاً علق القطربلي على القولين موجهاً الحديث إلى البحتري أنت في هذا أشعر من أبي تمام، فما كان من البحتري إلى أن قال والوفاء ملء برديه: كلا والله ذاك الأستاذ الرئيس، والله ما أكلت الخبز إلا به، فيعلق أيضاً أبو العباس المبرد، قائلاً: لله درك أبا الحسن، فإنك تأبى شرفاً من

---

[1] أخبار البحتري، الصولي، ص: ٧٠.

[2] الشعر والشعراء، مصطفى الشكعة، ص: ٦٩٥.

[3] أخبار البحتري، الصولي، ص: ٦٠ – ٦١.

جمع جوانبك. وهكذا يظل الشاعر الكبير وفياً لأستاذه أبي تمام لا يسمح لأحد أن يساوى به أو يفضله عليه، ولو كانت طبيعة الشعر المتمثل به تقتضي هذه المفاضلة، ولعل العبارة الوحيدة التي صدرت عنه في شأن تفضيله على أبي تمام هي قوله: جيده خير من جيدي، ووسطى خير من وسطه ورديئه[1].

لم يقتصر البحتري الاتصال بأبي تمام فقط وإنما اتصل بعدد من رجالات الدولة في بغداد نذكر من بينهم إبراهيم بن وزير المأمون الحسن ابن سهل، وبني حميد بن عبد الحميد الطوسي، بجانب هؤلاء اتصل بأبي سعيد الثغري، وفي ديوان البحتري ما يزيد على العشرين قصيدة في مدح أبي سعيد وابنه وقد نال من رفدها الشيء الكثير، وفي سامراء فتحت للبحتري أبواب الخليفة الواثق ووزيره أنس بن الزيات وكان كاتباً بارعاً امتدحه البحتري بقصيدة عصماء، ولكن أماني الشاعر لاذت بالخيبة إذ قُتل الواثق ووزيره علي بن المتوكل وتولى المتوكل سنة ٢٣٢هـ وظل البحتري بعيداً خوفاً على نفسه وخاصة أنه قد جرت على لسانه بعض أبيات يتعصب فيها للمعتزلة، وقوله بأن القرآن مخلوق[2].

ومهما يكن من أمر فقد اتصل البحتري بالمتوكل ووزيره الفتح بن خاقان وكثير من رجالات الدولة ومازال على اتصال بالخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان يختلف إليهما ويمدحهما إلى أن قتلا على مشهد منه، فرجع إلى منبج وبقى يختلف إلى الرؤساء والعلية في بغداد وسر من رأى ويمدحهم[3].

لم تختم حياة البحتري ختاماً حسناً، فقد رثى بعض أصدقائه بأبيات انتهزها أعداؤه فرصة فشنوا عليه واتهموه بالزندقة، لأنه يصف الدنيا

---

(١) الشعر والشعراء، مصطفي الشكعة، ص: ٦٩٥ – ٦٩٦.

(٢) أعلام في الشعر العباسي، حسن الحاج حسن، ط١، المؤسسة الجمعية، بيروت، ١٩٩٣م، ص: ١٨٤.

(٣) الموازنة، الأموي، ص: ٧.

فيقول: "إن الذي يتأمل الدنيا يراها وإن كانت من صنع صانع واحد يخيل إليه أن ما فيها من خلق حكيم وخلق أخرق، والرجل معترف قبل هذا أن الدنيا إنما هي من خلق خالق واحد[١]، وذلك في قوله[٢]:

أُخيَّ متَى خاصَمْتَ نَفْسَكَ فاحْتَشِدّ لها، ومتَى حَدَّثْتَ نَفْسَكَ فأصْدَقِ
ولَمْ أرَ كالدنيا حَلِيلةَ وأمقٍ مُحِبٍّ مَتَى تَحْسُنْ بِعَيْنَيْهِ تَطلُقِ
تَرَاها عِيَاناً وهي صَنْعَةُ واحدٍ فتَحسْبُها صُنْع حَكَيْمٍ وأخرقِ

فشنوا عليه هجوماً، وقالوا: يذهب مذهب الفرس الذين يدينون بإلهين، إله للخير وإله للشر[٣].

وكان سلطان العامة قد عظم[٤]. فأشفق البحتري على نفسه وقال "هلم بنا يا بني نخرج خرجه من بغداد إلى بلدنا، نقيم فيه حيناً ثم نعود إلى بغداد" وخرج مع ابنه إلى منبج بالشام، ولكنه لم يعد فقد مات بمنبج سنة ٨٩٧م وله من العمر ما يناهز الثمانين[٥] أو نيف على الثمانين[٦].

مع هذا كله فشعر البحتري من أجمل ما ترك لنا الأدب العربي العباسي[٧].

ثقافته:

كان البحتري يأخذ بحظوظ مختلفة من الثقافة الإسلامية والعربية في عصره، وليس معنى ذلك أنه تخصص في أحد فروعها، ولكنه كان يلم بها، إذ كانت حلقاتها مفتوحة للصادر والوارد في جميع أنحاء العالم العربي

---

[١] تاريخ الأدب العربي العباسي الأول، د. شوقي ضيف، مصر: دار المعارف، ط٦، ١٩٨٦م، ص: ٣٧٢.
[٢] من حديث الشعر والنشر، طه حسين، ط١، ١٩٣٧م، مطبعة الصاوي، القاهرة، ص: ٢٢٤ – ٢٢٥.
[٣] تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص: ٣٧٢.
[٤] من حيث الشعر والنشر، طه حسين، ص: ٢٢٥.
[٥] تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص: ٣٧٣.
[٦] المرجع السابق، ص: ٢٢٥.
[٧] المرجع السابق، شوقي ضيف، ص: ٣٧٤.

حينئذ[١]. ويرمز إلى ذلك في شعره حيث نراه يعرض بعض اصطلاحات علم الحديث، إذ يقول في مديحه لإبراهيم بن الحسن بن سهل:

خُلُقٌ أَتَيْتَ بِفَضلِهِ وسَنَائِه طَبْعاً فَجَاءَ كأَنَّهُ مَصْنُوعُ
وحَدِيثُ مَجْدٍ عَنْكَ أَفْرَطَ حُسْنُهُ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ مَوضُوعُ[٢]

وفي ذلك ما يؤكد صلته بالدراسات الإسلامية لعصره من حديث نبوي وتفسير وفقه، وبالمثل كان على صلة بالدراسات العربية من تاريخية ولغوية ونحوية، وهذا طبيعي لأنه أعد نفسه ليكون شاعراً مرموقاً، فكان لابد له أن يتزوّد من اللغة ومن النحو ومن التاريخ العربي الإسلامي[٣].

كان البحتري لا يبارى في ثقافته في الشعر، مما جعله يضع فيه ديوان حماسة مشاكله ومشابهة لأستاذه أبي تمام في حماسته المشهورة[٤]. والبحتري كان يكب على دواوين الشعراء المحدثين مما أتاح له ثقافة شعرية واسعة.

ولكن هل نستطيع بذلك كله أن نقول: إن البحتري كان مثقفاً بثقافة عصره وما يتصل بها من علوم الأوائل؟ حقاً له قصيدة، أكثر فيها من ذكر النجوم، ولكن هذا لا يعني أنه كان ملماً بعلم الفلك والنجوم بعصره، فقد كان إذا ألم بها يلمّ من الظاهر إن صح هذا التفسير، لا يتعمقها أو هو بعبارة أدق لا يستطيع أن يتعمقها إذ كانت نشأته نشأة بدوية كما لاحظ القدماء، وإن كان قد تحضر فيما بعد، ولكنه ظل بعيداً عن الفقه بالثقافة الحديثة، وخاصة الثقافة الفلسفية والمنطقية[٥].

وكانت قد أخذت تتكون في النقد والبلاغة ثلاث بيئات هي:

---

[١] العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص: ٢٨٤.
[٢] ديوان البحتري، ط٢، تحقيق: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م، ج٢، ص: ١٣١٦.
[٣] العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص: ٢٨٤.
[٤] المرجع السابق، ص: ٢٨٥.
[٥] نفسه، نفس الصفحة.

بيئة اللغويين: التي ترى أن الشعر ينبغي ألا يقاس إلا بالمقاييس العربية الخالصة.

بيئة المتفلسفة: التي ترى أن يقاس الشعر بمقاييس البلاغة اليونانية، وهذه بيئة مجددة مسرفة في التجديد.

بيئة المعتزلة: فهي لا تحافظ محافظة اللغويين ولا تجدد تجديد المتفلسفة، بل تقف موقفاً وسطاً، وانحاز الشعراء غالباً إلى البيئة المحافظة والمعتدلة، وقلما انحازوا إلى البيئة الثالثة لأنها كانت تجافي الذوق العربي. غير أن هذه البيئة أخذت تشن حملات شعواء على بيئة المحافظين وخاصة على ممثلها البحتري الذي لم يكن يتقن الثقافة الفلسفية، ونرى بعض من يمثلون البيئة المعتدلة ينضمون إلى هذه الحملة بعامل المنافسة بينهم وبين البحتري وعبيد الله صاحب شرطة بغداد وحدث ذلك في فترات عزله عن وظيفته، وسارع البحتري فلمح إليه في بعض شعره بما يشبه الذم، وردّ عليه عبيد الله يمده صديقه ابن الرومي بأشعار ملتهبة، ويبدو أنهما نددا بضعف ثقافة البحتري وأنه لا يعرف فلسفة ولا منطقاً، مما جعله يهجو عبيد الله بقوله[1]:

كَلَّفْتُمُونا حُدودَ مَنْطِقِكمْ ... في الشِّعْرِ يُلْغَى عن صِدْقِهِ كَذِبُهْ
ولم يَكُنْ "ذُو القُروحِ"[2] يَلْهَجُ ... بالمَنْطِقِ ما نوعُهُ وما سِبَبَهْ؟
والشَّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إشارَتَهُ ... وليس بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ[3]

وقد ساعد الذوق المحافظ الذي ساد في العصر إلى أن ترجح كفة البحتري المحافظ كفة ابن الرومي المجدد، وأن يقف في صفة علماء اللغة

---

[1] العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، ص: ٢٨٥.

[2] الديوان، ج١، ص: ٢٠٩.

[3] ذو القروح: لقب لامرئ القيس.

من أمثال المبرد وغيرهم من الشعراء. وبالرغم من تفوق ابن الرومي على البحتري بملكاته الشعرية الخصبة، إلا أنه لم يكن يحتفظ للشعر بصياغته المورثة وتقاليدها على نحو ما يحتفظ البحتري[١].

لم يتعمق البحتري في شعره باستخدام ألوان البديع كأبي تمام بل يغلب على شعره الطباق. ولكن إذا كان البحتري لم يستطيع أن يحقق لنفسه هذا المدى الرائع من الشعر والفن، فإنه استطاع أن يحقق لنفسه مدى مقابلاً لا يقل روعة، وهو مدى الجمال الصوتي البديع، بحيث استطاع أن يرتفع باصطفاء الكلمات والملاءمة بينهما في الجرس! بل بين حروفها وحركاتها ملاءمة رفعته إلى مرتبة لم يحلقها فيها سابق ولا لاحق، وكأنما كانت له أذن داخلية مرهفة، تقيس كل حرف وكل حركة وكل ذبذبة صوتية، فإذا به ينظم شعراً مصفيَّ مرَوّقاً، شعراً يلذ الألسنة والآذان والأذهان لذة لا تعادلها لذة[٢]. وكأنما أعطت الموسيقي الشعرية كل مفاتيحها وكل أسرارها للبحتري، فإذا هو يوقع على قيثارته أروع الحان عرفتها العربية[٣]. وبذلك استطاع أن يتلافي بقوة قصوره الثقافي، فإذا هو يوضع على قدم المساواة مع أبي تمام، وإذا النقاد يتقابلون في صفين: صف يرفع أبا تمام إلى الذروة، وهم المتفلسفة ومن يعنون بالعمق في المعاني والأخيلة، وصف يرفع البحتري إلى نفس المرتبة، وهم أصحاب الآذان المرهفة الذين يكبرون اللذة الصوتية وكان البحتري نفسه إذا سُئل عنه وعن أبي تمام قال: جيِّده خيرٌ من جيّدي ورديئي خير من رديئه، وهو يريد بجيد أبي تمام معانيه وأخيلته الدقيقة التي لم يكن أحد من أهل زمانه يستطيع أن يعلق في آفاقها، أما رديئه فيريد به بعض أبياته التي يضطرب فيها اللفظ لأنه لم يكن يعني بألفاظه وأصواته عناية البحتري[٤].

---

[١] العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص: ٢٨٦.

[٢] المرجع السابق، ص: ٢٨٨.

[٣] الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ط١٠، دار المعارف، ص: ٧٧.

[٤] العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص: ٢٨٩.

المبحث الثاني

عصره

امتد العصر العباسي أكثر من خمسة قرون، فقد بدأ عام ١٣٢هـ إثر سقوط الدولة الأموية، وانتهى عام ٦٥٦هـ حين استولى التتار بقيادة هولاكو على بغداد.

ومر هذا العصر بمراحل ثلاث متميزة في طبيعة الحكم السياسي والعناصر البشرية ذات النفوذ فيه، وهذه المراحل هي:

* العصر العباسي الأول الذي يبدأ عام ١٣٢هـ وينتهي بناية الواثق.

* العصر العباسي الثاني الذي يبدأ عام ٢٣٢هـ وينتهي بدخول البويهين بغداد عام ٣٣٤هـ.

* العصر العباسي الثالث الذي يبدأ عام ٣٣٤هـ وينتهي عام ٦٥٦هـ الذي شهد زوال الخلافة العباسية[١].

ما يهمنا في هذه الدراسة العصر العباسي الثاني ونقدم فيه طبيعة الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية والحياة العقلية.

١/ الحياة السياسية:

بدأت الدعوة العباسية ببلدة الحميمة جنوبي الأردن بزعامة أبي هاشم ومن بعده محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الذي جعل من الحميمة مقراً له واتخذ من الكوفة وخراسان مهداً لنشر دعوته لكثرة العلويين والشيعة هناك.

وأعلن أبو العباس السفاح نفسه في يوم الجمعة الموافق ١٢ ربيع الأول ١٣٢هـ الموافق ٢٥ يناير ٧٥٠م، أول خليفة عباسي واتجه إلى

---

[١] تاريخ الأدب في العصر العباسي، د. مصطفى السيوفي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية ش م. م، دار القاهرة، مصر، ص ٨.

المسجد الجامع في الكوفة حيث بايعه الناس، لكن مدة السفاح لم تطل إذ توفى سنة ١٣٦هـ وخلفه أبو جعفر المنصور الذي يعد المؤسس الحقيقي للدولة العباسية وهو الذي أمر ببناء مدينة بغداد سنة ١٤٥هـ واتخذها عاصمة للخلافة العباسية[١].

وبذلك تتهيأ الفرص أمام الطابع الفارسي ليزداد نشاطاً وانتشاراً في كل جوانب الخلافة[٢]. ونجد أعلى المناصب وأكثرها في أيدي الفرس وكان منهم أكثر الوزراء والقواد غير أن العباسيين نكبوا نكبات متوالية وشب من جراء ذلك عداء شديد بين الفرس والعرب مما أدى لظهور تيار شعوبي بغيض رافقه تيار إلحاد وزندقة لا يقل عنه عنفاً ولا محاولة لهدم الإسلام والعروبة جميعاً. إلى أن جاء المعتصم حينئذ يفكر في عنصر جديد يعتمد عليه في حروبه عدا الفرس فثوراتهم لا تنقطع وأمانيهم في إحياء مجدهم القومي لا تخمد وهداه تفكيره إلى الاعتماد على عنصر من الرقيق وهو الرقيق التركي الذي كثر توافده على العراق وبغداد إلى أن بلغت عدته ثمانية عشر ألفاً حتى بنا لهم مدينة سامراء (أو سرمن رأى) شمالي بغداد وظلت حاضرة للخلفاء حتى أواخر عهد المعتمد سنة ٢٧٦ للهجرة[٣].

وكان ذلك تحولاً خطيراً في تاريخ الدولة العباسية، فقد كانت تعتمد كل الاعتماد على الفرس وكانوا أصحاب مدنية وحضارة فبثوهما في الحياة العربية، وأعدوا لنهضة حضارية واسعة تستسقي من موارد الإسلام والعروبة ومن الثقافات الأجنبية المختلفة، وخاصة الثقافتين اليونانية والفارسية. أما الترك فلم يكونوا أصحاب ثقافة ولا مدنية ولا حضارة إذ

---

[١] تاريخ الأدب العربي، هشام ياغي، وآخرون، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط١، القاهرة، ص ١٥٧.

[٢] مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص، عبد الله التطاوي، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ص ٢٠.

[٣] تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط١٢، ص ١٠.

كانوا بدو لا يعرفون الصناعة ولا الزراعة ولا التجارة... الخ، إنما هم سكان صحار وقفار وحرب وجلاد وبأس ومراس[١]، وقد صورهم الجاحظ في رسالته (صناعة القواد) كان يهدف إلى نقد ظاهرة سياسية وحدث عن بعض الخلفاء العباسيين وهي إشراك غير الأكفاء في المناصب السياسية والإدارية، وكان يقول عن الترك: (الترك أصحاب عمد "خيام" وسكان فياف وأرباب مواش وهم أعراب العجم.. فحين لم تشغلهم الصناعات والتجارات والطب والفلاحة والهندسة، ولا غرس ولا بنيان ولم يكن همهم غير الغزو والغارة والصيد وركوب الخيل ومقارعة الأبطال، ومن ذلك سمى الجاحظ السياسية العباسية بأنها "عربية أعجمية"[٢].

فتح المعتصم الباب لقواد الترك كي يمسكوا بزمام الشئون الإدارية بجانب ما أمسكوا به من زمام الشئون العسكرية[٣].

نجد أن الخلافة العباسية أصبحت في أيدي الأتراك يولون من يولونه ويعزلون من يعزلونه كيفما يشاءون نتيجة لذلك ظهرت تقلبات في الخلافة العباسية من خليفة إلى خليفة حتى انهارت الدولة العباسية ومرت الخلافة العباسية بتدهور كبير وتقلبات في دساتير وقوانين الحكم وكثير من العذاب والآلام التي ألحقوها بالخلفاء العباسيين وضيق المعيشة وكثرة جباية الضرائب والعنف مما أدى إلى كثرة التسول بشتى أنواعه، مما جعل الشعراء العباسيين في تلك الفترة يتجهون إلى لون جديد وهو ليس بجديد وإنما أكثروا فيه وهو المدح للخلفاء من أجل التكسب للمال ومثال ذلك شاعرنا البحتري[٤].

---

[١] المرجع السابق، ص: ١٠.

[٢] المرجع نفسه، ص: ١٢.

[٣] الشعر الهزلي العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وليد عبد المجيد إبراهيم، ط ٢٠١١م، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ص: ١١٥.

[٤] تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص ١٢.

ونجد في عهد المتوكل أنه حاول أن يجردهم من نفوذهم فتخلص من إيناخ ثم حاول أن يترك سامراء ويتخذ دمشق حاضرة له حتى يبعد عن تأثيرهم، ولكنهم فطنوا لمقصده فظلوا به حتى قتلوه سنة ٢٤٧هـ لمساعدة ابنه المنتصر الذي اعتلى الخلافة من بعده.

وكرر محاولة المتوكل أبو العباس أحمد المعتضد (٢٧٩ – ٢٨٢) وكان قد أبلى في حروب الفرنج بلاء حسناً لقد قبض على كبير الأتراك لزمنه وهو بكتمر ابن طاشتمر، وصادر أمواله وضياعه، ولم يجرؤ أحد من الأتراك على تحريك ساكن خوفاً منه ورهبة، ولكنهم عادوا بعده سيرتهم الأولى يعزلون ويعذبون، على حد سمل العيون، من يريدون من الخلفاء وينصبون من يشاءون منهم. فمن سملوا عينيه من الخلفاء "القاهر بالله، والمتقي بالله، المستكفي بالله آخر خلفاء بني العباس"، وفي زمنه دخل البويهيون – وهم من الفرس – بغداد وأزالوا تسلط قواد الترك على مقاليد الحكم العباسي[1].

ولم يبق في يد الخليفة إلا بغداد وأعمالها وظل كثير من زعماء تلك الدويلات يعترفون للخليفة بالسيادة ويدعون له في المساجد، مما أدى هذا الضعف على انقسام الدولة والتمزق وطمع الروم ببلاد المسلمين فأخذوا يغيرون عليها ويحتلون أطرافها وقد أدى هذا الضعف أيضاً إلى اتساع نفوذ البويهيين حيث دخل أحمد بن بوية بغداد في عهد الخليفة المستكفي سنة ٣٣٤هـ وأكرم الخليفة وفادته واستأثر بالنفوذ في الحاضرة العباسية دون الخليفة. وظل البويهيون رغم تنازعهم على السلطة مسيطرين على شئون بلاد فارس والعراق حتى جاء السلاجقة وأزالوا الحكم البويهي عن بغداد

---

[1] تاريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفي السيوفي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، ش. م م، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، ص: ١٤ – ١٥.

وانتقلت مقاليد الأمور من البويهيين إلى السلاجقة الأتراك. وظل الأمر حتى سقوط بغداد على يد التتار بقيادة هولاكو سنة ٦٥٦هـ[١].

٢/ الحياة الاجتماعية:

لندرس الحياة الاجتماعية في العصر العباسي علينا أن نهتم بحياة الناس ومعايشهم في المجتمع العباسي الذي يغلب عليه طابع الفقر ونجد أن المجتمع العباسي كان مؤلفاً من أفراد يرتدون إلى أجناس مختلفة، ولكنهم يلتقون على مبدأ واحد ودين واحد هو الإسلام، والتسامح في هذا الدين فسح المجال لأصحاب الديانات السماوية الأخرى كاليهودية والنصرانية أن يعايشوا المسلمين وفق قواعد محددة توضح ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات[٢].

ونجد أن المعيشة في البصرة والكوفة في أثناء العصر الإسلامي أقرب إلى البداوة، أما في العصر العباسي فتصبح الحياة فيهما حضرية مبالغة في الحضارة، وتنشأ بجانبهما بغداد، ينشئها المنصور على طراز كأنه اشتق من الفرس فالحياة فيها فارسية لذلك نجد الناس يحتفلون بالنيروز وأعياد الفرس[٣].

وأدى ذلك التمازج إلى انحطاط في الأخلاق، وقد شاع الميسر وتعاطي المسكرات علناً وسراً وكانت تعطى لمعاقرة الخمر حلقات أنس تسمى مجالس الشراب، وكان من الملاهي الشائعة في تلك الأيام لعب الشطرنج وسباق الخيل والصيد أحب ضروب اللهو عند العلماء[٤].

---

[١] تاريخ الأدب العربي، إبراهيم السعافيني، هشام ياغي، مرجع سابق، ص: ١٦٠ – ١٦١.

[٢] تاريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفي السيوفي، ص: ١٧.

[٣] الفن ومذاهبه في العشر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، الطبعة العاشرة، ص: ٥٩.

[٤] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، الطبعة الثانية عشر، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان، ص: ٣٥٢ – ٣٥٣.

وكثرت هذه الشعوب وامتزاجها مع بعض أدى إلى التزاوج بين العرب وغيرهم من العناصر غير العربية، فنشأ جيل له عمومة عربية وخؤولة فارسية أو رومية أو تركية مما أدى ذلك إلى تغير في معالم السلوك الاجتماعي كالملبس والمطعم وآداب السلوك[1].

نجد أن العصر العباسي في حياته الاجتماعية الممزوجة من العرب وغير العرب كون شخصية ممزوجة من فرس وروم وعرب هذا إن دل يدل على التفاعل والتنوع في القيم والعادات.

ويوزع شوقي ضيف طبقات المجتمع العباسي إلى ثلاث طبقات أساسية:

- **الطبقة العليا:** تشتمل على الخلفاء والوزراء والقواد والولاة وكبار رجال الدولة وأصحاب الإقطاع من الأعيان وذوي اليسار.

- **الطبقة الوسطى:** تشتمل على رجال الجيش وموظفي الدواوين والتجار والصناع الممتازين.

- **الطبقة الدنيا:** تشتمل على العامة من الناس وأصحاب الحرف والخدم والرقيق، وأهل الذمة[2].

نجد أن الطبقة الأولى تعيش في ترف ونعيم نظراً للأموال الكثيرة التي كانت تمتلكها، ومن مظاهر الترف إنشاء البركة التي بناها المتوكل، وسط قصر البرج إذ كانت مفروشة ظاهراً وباطناً بصفائح الفضة. واتخذ له عندها سريراً كبيراً من الذهب، وهي التي وصفها شاعرنا البحتري بقوله:

يا مَنْ رأَى البِرْكَةَ الحْسنَاءَ رُؤْيَتَهَا ... والآنِسَاْتِ إذا لاحَتْ مَغَانِيهَا
كأَنَّ جِنَّ "سَلَيْمَانَ" الذَّين وَلُوا ... إبْدَاعَها فأدقوُّا في مَعَانِيهَا
كأَنَّمَا الفِضَّةُ البَيْضَاءُ سائِلَةٌ ... مِنَ السَّبَائك تَجْرِى في مَجَارِيهَا[3]

---

[1] تاريخ الأدب العربي، إبراهيم السعافيني، هشام ياغي، صلاح جز، ص: ١٦١.

[2] تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص: ٥٣.

[3] تاريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفي السيوفي، ص: ١٨.

أما الطبقة الوسطى، وهي طبقة التجار فقد أفادت هذه الطبقة من اتساع رقعة الدولة الإسلامية فكانوا يجولون في كل أمصار الدولة ببضائعهم المختلفة، وكانوا يتاجرون بكل ما يمكن الاتجار به حتى الإنسان وهو ما أطلق عليه تجارة الرقيق وكانوا مقربين من الخلفاء والأمراء وكانت قصورهم وأموالهم تحاذى ما للطبقة الحاكمة من ممتلكات.

أما الطبقة الدنيا فهم الموالي وهم طبقة من غير العرب التحقوا بالأنساب العربية طلباً للحماية والجاه، وقد ظهر من هؤلاء الموالي كتاب وشعراء ورجال سياسة وقادة جيوش وتجار.

وقد برزت في المجتمع العباسي عدة ظواهر اجتماعية كان لها أثر جليٌّ في الأدب العباسي ومن أهم هذه الظواهر:

الحضارة والثراء والترف، الرقيق والجواري والغناء، المجون، الشعوبية والزندقة والزهد. وكان الزهد ردة فعل لانتشار هذه الظواهر وتعبيراً عن حالة الفقر والضيق التي كان يعاني منها عامة الناس[1].

لندرس الحياة العقلية والنشاطات التي جاءت في هذا العصر وازدهار حركة الترجمة والنقل والثقافات الوافدة من تلك الأجناس المختلفة نقف عند الحياة العقلية أو الحركة العقلية وأهم التطورات فيها.

٣/ الحياة العقلية الفكرية:

شهدت الحياة العقلية نشاطاً لم تشهده الحياة العربية من قبل[2]، فمجرد أن اكتسح العرب العراق وإيران والشام ومصر مضوا ينهلون من كل الثقافات والمعارف التي كانت منبثة في هذه البلدان وأسعفهم في ذلك

---

[1] تاريخ الأدب العربي، هشام ياغي، إبراهيم السعافيني، صلاح جرا، ص: ١٦٢.

[2] المرجع السابق، ص: ١٦٤.

أنهم عربوا شعوبها وأخذت بنفسها تعرب لهم كل مدخراتها وكنوزها الثقافية، وتجرد بعض العرب لمعرفة اللغات الأجنبية التي كانت تحمل تلك الكنوز والمدخرات، وما ينقضي القرن الثاني الهجري حتى تكون قد دخلت العربية سيولٌ ثقافية وعلمية لا حصر لها، مما مكن العرب أن يتحولوا سريعاً إلى أمة علمية تعنى بكل جوانب العلم الذي كان معروفاً عند الأمم القديمة وخاصة الفرس والهنود والسريان واليونان، وتشارك فيه مشاركة جادة خصبة وتضيف إليه علوماً جديدة تتصل بالقرآن والشريعة والشعر واللغة والنحو والعروض[1].

ونجد حنا الفاخوري يقول: البيئة الثقافية كانت من أقوى العوامل في النهضة العباسية إذ أخذ الخلفاء يشجعون الحركة العلمية في شتى نواحيها ويمدونها بمالهم وجاههم، وقد بالغوا في إكرام الأدباء وجالسوهم، ودلوهم أحياناً المراكز العالية، ثم حذا الأمراء والوزراء حذو الخلفاء في أكبر مدن الدولة وكانوا يتنافسون في ذلك كما يتنافسون في فتح دور العلم؛ وظهر في الجيل الجديد ميل شديد إلى الحياة العلمية، ولا عجب في ذلك وقد رأينا ما كان هنالك من تمازج مدنيات وأخلاط حضارات ووعي عامَّ نال للشعوب المتمدنة من ثقافات[2].

ويقول مصطفى السيوفي في كتابه: ويكفي شاهداً على ذلك في عهد المأمون أن المأمون قد رسم لحنين بن إسحاق – كما يقول الرواة أن يأخذ وزن كل كتاب ترجمه إلى العربية ذهباً ولهذا كثر المترجمون في هذا العصر وعلى رأسهم حنين وابن المقفع وسهل بن هارون وابن ماسويه وبختيشوع بن جبريل وغيرهم[3].

---

[1] تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص: ١١٥.

[2] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٣٥٤.

[3] تاريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفى السيوفي، ص: ٢٢.

"ومن ذلك الحين ازدهرت الترجمة ازدهاراً فائقاً في العصر العباسي والسبب أو الدافع إلى ازدهار الترجمة في تلك الآونة هو تشجيع الخلفاء والأمراء للمترجمين ونجد ذلك دافعاً قوياً ما أسهم إسهاماً واضحاً في الترجمة"[1].

ومن عوامل النشاط العقلي ازدهار الترجمة فقد نقل إلى العربية كثير من كتب الفرس واليونان وغيرهم في مجالات الطب والفلسفة والرياضيات والهندسة والآداب والعقائد، وكان لمدرستي جندسابور وحرَّان دور كبير في نقل العلوم إلى العربية، فقد كان فيهما من المترجمين المشاهير أمثال جورجيس بن بختشوع وجبريل بخشوع في جنديسابور وثابت بن قرة وإبراهيم بن سنان في حرَّان.

وقد نقل إلى العربية في العصر العباسي أهم تآليف أرسطو وشروح الاسكندرانيين عليها وبعض مؤلفات أفلاطون وأهم كتب جالينوس في الطب.

ومن عوامل النشاط أيضاً انتقال الخلافة من دمشق إلى بغداد حيث كانت العراق أوفر حاضرة وكانت مشهورة بعلومها.

ومن هذه العوامل أيضاً أن الأمة الإسلامية كانت قد مرت بطور المسائل الجزئية المبعثرة، فكان لزاماً أن يسلمها ذلك إلى الطور الآخر طور التنظيم وتدوين العلوم، وأما أهم مظاهر النشاط العقلي فتمثل في حركة التدوين، وحركة التأليف، وإنشاء المكتبات ودور العلم وقيام مراكز للحياة العقلية في البصرة والكوفة وبغداد، ومصر والشام ومكة والمدينة، وظهور التنافس بين مدرستي البصرة والكوفة وانتشار علم الكلام وانتشار الفكر المعتزلي، وتفاقم أمر كثير من الفرق الدينية وفرق الزنادقة، وانتشار مجالس المناظرة في المساجد وقصور الخلفاء[2].

---

[1] تاريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفي السيوفي، ص: ٢٢.

[2] تاريخ الأدب العربي، مصطفي السعافيني، صلاح جرار، هشام ياغي، ص: ١٦٥.

يقول مصطفى السيوفي في انتشار الفكر المعتزلي أو فرقة المعتزلة السبب في الانتشار أنها الفرقة الإسلامية الكبرى التي أرادت التوفيق بين الفلسفة والدين، أو العقل والقرآن الكريم.

ويقال إن أساس ظهور فرقة المعتزلة هو الخلاف بين الفرق الإسلامية حول مرتكب الكبيرة، فالخوارج كانوا يحكمون بكفره، والمرجئة كانوا يرجئون أمره إلى الله يقرره في الآخرة ولكنهم لا يخرجونه من الإيمان إلى الكفر. أما المعتزلة فيجعلونه في منزلة بين المنزلتين، فلا هو كافر ولا هو مؤمن.

وقد واكب الشعر هذه الحركة الفكرية فرصدها عند المعتزلة وعند غيرهم ومن ذلك ما قاله بشار في مدح واصل حيث كان يمدحه:

تَكَلَفَّوا القَولَ والأَقوامُ قَد حَفلوا وحبروا خطباً، ناهيك عن خطبِ
فَقامَ مُرتَجِلاً تَغلى بَداهَتُهُ كَمِرجَلِ القَين لمَّا حَفَّ بِاللَهبِ

فعنده أن واصلاً كان يبذل الخطباء مهما اجتهدوا في تحبير خطبهم وآرائهم.

ولما كان تأثير النزعة العقلية التي جاء بهما علم الكلام واضحاً في أشعار بعض الشعراء، قال البحتري رافضاً ذلك:

كلَّفتْمُونا حُدودَ مَنْطِقِكمْ في الشَّعْرِ يَلغي عن صِدْقِهِ كَذِبُهْ

وهكذا وفرت جوانب هذا العصر، السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية مجالاً رحباً للشعر ينطلق فيه كيف شاءوا متى شاءوا وبذلك نحكم على أن الشعراء كانوا واعيين لأدوارهم جيداً فقد قالوا شعراً في كل أمر لذلك تركوا لنا تراثاً ضخماً في كمه، عميقاً في فكره، متنوعاً في موضوعه[1].

كما ذكر حنا الفاخوري سرداً بسيطاً عن الحياة الاقتصادية والدينية.

---

[1] تاريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفي السيوفي، ص: ٢٣ – ٢٤.

أولاً: الحياة الاقتصادية:

العراق قطر أشتهر من قديم الزمان بالحضارة والرقي وتداولت عليه أمم وشعوب كثيرة عريقة في المدنية وهو قطر غني تكثر مياهه وخيراته، أما بغداد عاصمة الخلافة فهي تقع على ضفة دجلة الغربية وموقعها هذا يخولها أهمية كبرى حتى قال المنصور: (هذا موضع معسكر صالح، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء يأتينا فيها كل ما في البر، وتأتينا الميرة من الجزيرة وأرمينة وما حول ذلك؛ وهذا الفرات يجئ فيه كل شيء من الشام والرقة وما حول ذلك، وأنشئت قصور كثيرة على شاطئ دجلة وأنشئت خلفها البساتين الرحبة حتى سماها الخليفة المنصور "بالخلد" تشبيهاً لها بجنة الخلد، حتى صارت بغداد قلب العالم الشرقي، والمرفأ الأكبر لتجارة الهند، والمركز التجاري الخطير في ميدان الاقتصاد، وكانت اقتصاديات البلاد واسعة جداً مما فسح مجالات واسعة للترف.

وكان للتجارة شأن كبير في البلاد ولاسيما في بغداد، فأقيمت لها الأسواق المختلفة ووردت إليها البضائع من كل الجهات وتاجروا بكل ما يمكن الاتجار به حتى الرقيق.

ثانياً: الحياة الدينية:

أما الحياة الدينية فهي امتازت بإطلاق الحرية لما ضمت الدولة من شعوب مختلفي الأجناس والديانات، من مسلمين متعددي الفرق، ونصارى مختلفي النزاعات ومن يهود وصابئة، وزرادتشيين ومانويين متباييني المذاهب وكان للمانوية أثر كبير في العراق خصوصاً، كما كان لها أثر كبير في من انضموا حديثاً إلى الإسلام، وقد اهتم الخلفاء العباسيون بالدين أيضاً وحاولوا أن يحاربوا المجاري الغربية؛ فتقل عدة شعراء وكتاب

لنزوعهم منزع الكفر والزندقة على ما يظن ومن أولئك "ابن المقفع وبشار وابن عبد القدوس"[1].

يُعد العصر العباسي عصراً حافلاً بكل ما فيه من جانب سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ديني أو فكري علمي، ومما لاشك فيه أن الحياة السياسية في هذا العصر قد ضعفت أو نجدها فشلت في الأمور السياسة في بعض الأحيان لكن أن الفشل ليس نهاية الأمر أو النجاح، ولكن بداية للنجاح والتطور والازدهار، والتمازج بين الأجناس المختلفة مما أدى إلى تكوين شخصية عربية أعجمية وغيرها مما أدى ذلك التنوع إلى تنوع كثير في كل شيء حتى البناء والعادات والتقاليد واللبس والتطور والترجمة والاقتصاد الذي أدى إلى توسع البلاد من كل الجوانب والديانات وحرية الديانات المختلفة وكثير من التطورات مما أدى ذلك إلى تطور الشعر وجعل الشعراء يتحدثون في كل حدث من تلك الأحداث مما جعل الأدب حافلاً بالتراث والتاريخ لكل الأجيال القادمة.

---

[1] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخروي، ص: ٣٥١ – ٣٥٤.

المبحث الثالث

مؤلفاته

للبحتري ديوان شعر أكثره في المدح وأقله في الهجاء والرثاء، وفي مدحه غزل كثير ووصف مختلف الوجوه والأنواع، وقد ظل شعره غير مرتب حتى جمعه أبو بكر محمد بن يحي الصولي المتوفى سنة ٣٣٥هـ، وقد جمعه في مجلدين ورتبه على الحروف وقد أشار إلى ذلك ياقوت الحموي في معجم الأدباء وجمعه علي بن حمزة الأصفهاني ورتبه على الأنواع، وشرحه أبو العلاء المعري وسماه (عبث الوليد) والذي شرح فيه معظم قصائد البحتري وأصلح ما فيها من الأغلاط. وأبرز الشُرّاح والمحققين المحدثين حسن كامل الصيرفي الذي قام بجمع وترتيب ديوان البحتري على الحروف[١].

بجانب ذلك عُنى البحتري بالتأليف كأستاذه أبي تمام فجمع كتاب الحماسة معارضة لأستاذه أبي تمام وقد اهتم البحتري في حماسته بأغراض الشعر التي تتضمن المعاني الشعرية التي جرت على ألسنة الشعراء العرب، وجعل حماسته ١٧٤ باباً وقد أهداها للفتح بن خاقان وتتفوق حماسة البحتري على حماسة أستاذه بكثرة الأبواب[٢].

---

[١] مقدمة ديوان البحتري، ج١، شرح وتحقيق: حسن كامل الصيرفي، ص: ١٢.

[٢] الحماسة، أبو عبادة البحتري، شرح: كمال مصطفي، ط١، الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٩م، ص: ٢٠.

المبحث الرابع

العلامات الفارقة

قال صاحب الأغاني: كان البحتري أوسخ خلق الله ثوباً وآلة، وأبخلهم على كل شيء، وكان له أخ، وغلام معه في داره فكان يقتلهما جوعاً فإذا بلغ منهما الجوع أتياه يبكيان فيرمي إليهما بثمن أقواتهما مضيقاً مقتراً ويقول: كلا أجاع الله أكبادكما وأطال إجهادكما، ويقول:

تبعتُ رجالاً أطلب المالَ عندهم فكيف يكون المالُ مطلباً عندي

والبحتري كان فقيراً، والفقير من ليس له مال وكذلك المسكين، ويقال في مدح الفقر: الفقر شعار الصالحين، والفقر لباس الأنبياء، وفي ذلك يقول البحتري:

فقرٌ كفقرِ الأنبياءِ وفاقة وصبابةٌ ليس البلاءُ بواحدٍ

وأيضاً قول أبو العتاهية في الفقر:

ألم تَرَ أنْ الفقرُ يُرجى لهُ الغِنَىْ وأنْ الغِنَىْ يُخَشْىَ عَلَيْهِ مِنْ الفقرِ

وهو شاعر فاضل فصيح حسن المذهب، نقي الكلام، له تصرف حسن فاضل نقي في ضروب الشعر سوى الهجاء فإن بضاعته فيه نذرة، وجيده منه قليل[1].

ويقول صاحب الموازنة: كان البحتري – على فضله ونصاعة بيانه، ورقة كلامه، وبديع أسلوبه وجزيل شعره – من أبخل خلق الله؛ وكان فوق ذلك من أوسخ خلق الله ثوباً وآلة وأبغضهم إنشاداً، وأكثرهم غروراً وافتخاراً بشعره كثير الاعتداء بنفسه حتى يتبغض في إنشاده زهواً وإعجاباً. فقد روى أنه كان إذا أنشد أخذ يتشادق، ويتزاور في مشيته، ويهز برأسه،

---

[1] الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، ص: ٨٢٠.

وبمنكبه، ويسير بكمه ويقول لمستمعيه: لم لا تقولون أحسنت؟ هذا والله ما لا يقدر أحد أن يقول مثله[١].

يتضح لنا من حديث الأصفهاني والآمدي أن البحتري كان وسخاً كزاً، شحيحاً، مغروراً يضاف إلى ذلك صفة الخيانة وعدم الوفاء، ويقول أحد الرواة إنه لم ير أقل وفاءً من البحتري لأنه هجاء أربعين رئيساً ممن مدحهم وفي بعض قصائده أمارة أسماء من مدحهم[٢].

ويروي الصولي والأصفهاني والآمدي من المواقف ما يدلُ على وفاء البحتري وحفظه للجميل – لأستاذه أبي تمام – يقول الصولي: "حدثني الحسين بن إسحق قال: قلت للبحتري: الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام! فقال: والله ما ينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كما قالوا ولكني والله تابع له، لا ئذبه، آخذ منه، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تتخفض عند سمائه"[٣].

ولعل في كلام الرواة شيئاً من الغموض ونوعاً من التناقض فقد جمع هؤلاء الرواة في البحتري صفات متناقضة أظهرها صفتين متناقضتين هما الوفاء والخيانة.

ويرى بعض النقاد المحدثين أن البحتري لم يكن كزاً شحيحاً كما أفرط بعض الرواة في وصفه منهم بطرس البستاني[٤]. بينما وقف بعض النقاد المحدثين موقف الشك بين خيانة البحتري ووفائه.

---

[١] الموازنة، للآمدي، ص: ٧، والأغاني، ص: ٢١٦.

[٢] تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، ص: ٣٥٧.

[٣] أخبار البحتري، الصولي، ص: ٦٠، وراجع؛ الأغاني، الأصفهاني، ج٢٤، ص: ٨٢٠٤، وراجع؛ الموازنة، للآمدي، ص: ٧٠٨.

[٤] أدب العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ج٢، دار هارون عبود للطباعة، بيروت، ١٩٧٩م، ص: ٢١٦.

يُرجِحُ بعض النقاد وفاء البحتري من خلال مواقفه مع أستاذه أبي تمام ووفائه مع أبي سعيد الطائي وابنه ورثائهما بعد مقتلهما، وقصيدته التي رثى بها الخليفة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان.

فبينما يرى بطرس البستاني أن البحتري لم يخلص للمتوكل والفتح بن خاقان ولم يذكرهما بخير بعد موتهما إلا لأنه فقد جنته في الحياة الدنيا، فقد كان يرتع في جنابيهما في بحبوحة من العيش الفضيل، يشير إلى أن البحتري يتحلى بعاطفة طيبة لا تدل على خساسة ودناءة من خلال موقف البحتري مع طاهر بن محمد الهاشمي حينا مدحه[1] في قصيدته شعرٌ بشعرٍ من الخفيف.

قال البحتري مدحت طاهر بن إسماعيل بن صالح الهاشمي وكان مع شرفه أديباً ظريفاً شاعراً وهو رجل من أهل حلب فبعث إليَّ بدنانير وكتب إليَّ بهذه الأبيات:

لَوْ يَكُونُ الحِبَاءُ حَسْبَ الذي أنـ ... ـتَ لَدَيْنَا لَهُ مَحَلٌّ وَأهْلَ
لحَبَيْتُ اللّجَينَ والدُّرَّ واليّا ... قوتَ حَثْواً وَكانَ ذاكَ يَفلَّ
وَالشَّرِيفُ الظَّرِيفُ يَسمحُ بالعُذْ ... رِ إذا قَصّرَ الصديقُ المُعِلّ

يقول البحتري: فرددت الدنانير وأجبته بهذه الأبيات:

بأبي أنتَ، أُنتَ للبِرُ أهْلُ ... وَالمساعي بَعْدُ وَسَعيك قَبلُ
وَالنّوَالُ القَليلُ ينكرُ إنْ شَا ... ء مُرجّيكَ وَالكَثيرُ يَقِلّ
غَيرَ أنَّي رَدَدْتُ بِرّكَ إذْ كَا ... ن رِباً مِنْكَ، وَالرّبَا لا يَحِلَّ
وَإذا ما جَزَيْتَ شِعراً بِشِعرِ ... يُبْلِغُ الحَقَّ فالدّنانيرُ فضْلُ

والحقيقة أن هذا الزخم المدهش حول صفات البحتري يقتضي استجلاء الظروف والمتغيرات من حوله، فقد شهد البحتري عصراً برزت

---

[1] أدب العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢١٦.

فيه عوامل التحول السياسي والاجتماعي والفكري والثقافي والحضاري مما حدا بشخصية البحتري أن تتشكل وفق ظروف المجتمع العربي الجديد مدغمة وملتحمة في خصائصه، يقول عاطف محمد عبد الله شهد البحتري عصراً مليئاً بالظواهر السياسية والفكرية حيث الصراع على السلطة وحوار الحضارات مع الثقافات الأخرى الأمر الذي أحال الحاضرة العباسية مجتمعاً جديداً له خصائصه ومقوماته ولما كان الشعر وسيلة الحياة ساير البحتري مقتضيات عصره[١].

ولدى البحتري خاصية ظاهرة في شعره وهي حب الوطن، فإنه كثيراً ما يحن إلى منيج وحلب ويحسب نفسه غريباً في العراق، مع أن شهرته لم تقم إلا فيه وشروحه لم تجمع إلا هناك[٢].

وكان يتعصب لليمن عموماً ولطئ خصوصاً، وكذلك ظهر عليه شيءٌ من الأعجمية لأنه كان مفتوناً بحضارة الفرس، ولأنه وجد في عصر كانت السيادة فيه للموالي لا للعرب[٣].

أثر الإسلام في شخصيته:

هل أثّر الإسلام في شخصيته بصورة تجعل التأثر منعكساً في شعره على النحو الذي سنراه[٤]؟ ولهذا السؤال إجابتان لفئتين من الناس، فئة فهمت الدين بطريقة تختلف عن الفئة الأخرى.

---

[١] البنية اللغوية عند وصف الشاعرين البحتري وابن المعتز، عاطف محمد عبد الله الطاهر، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم، ص: ١٢.

[٢] الأغاني، الأصفهاني، ص: ٢١٧.

[٣] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢١٨.

[٤] أثر الإسلام في شعر البحتري، رسالة ماجستير في اللغة العربية (الأدب والنقد)، عقيل الطيب عبد الرحمن، جامعة أمدرمان الإسلامية، كلية الدراسات العليا، قسم اللغة العربية، كلية التربية، ٢٠٠٦م، ص: ٢٨٩.

فالذين يفهمون الدين على أنه يساير الحياة ويتعمق في شؤونها ولا يغفل عن شيء فيها فإن كل حركات الإنسان وسكناته وأعماله التي ينفع بها نفسه ومجتمعه ترفعه منزلةً عند الله وأن طرق كسب العيش واسعة في ديننا الحنيف ولم يقصرها يوماً على شيء محدد، فمن فهم الدين بهذه الصورة يرى أن الإسلام أثر في شاعرنا البحتري بل كان جزءاً في تكوين شخصيته.

أما من فهم الدين على أنه صلاة وصوم وزكاة وحج وقصر مفهوم الدين الواسع على هذه العبادات الشكلية فحسب فهذا فهم خاطئ للدين وقد ضيق واسعاً، فمن فهم الدين على النحو يغيب عليه أثر الإسلام في شخصية شاعرنا بل يتلاشى هذا الأثر تماماً.

فالبحتري لم يكن تقياً من الأتقياء ولا ماجناً من الخلعاء غير أنه عندما يقول الشعر نلمس الأثر الإسلامي في أفكاره ومعانيه المستوحاة من الكتاب والسنة وهذا يدلل على أن الشاعر تربى تربية إسلامية استوعب عبرها وخلالها كل المبادئ القيمة التي جاء بها الإسلام وأن الإسلام جزء من المكون الثقافي لشخصيته.

وكان البحتري شديد التعصب للإسلام، وربما نزع إلى التشيع، ولكنه كان يتحفظ ولا يسفر في إظهار تشيعه، وخصوصاً في عهد المتوكل فإنه لما جاء العراق أراد أن يتكني بأبي الحسن بدلاً من أبي عبادة في عصر المتوكل يتشبه بعلماء الشيعة فرأى من المتوكل كرهاً شديداً للعلويين فعدل إلى كنيته الأولى، وكتم تشيعه، أو تركه[1].

والمطلع على أشعار البحتري وسيرته، يجده كثير الأسفار والترحل بحثاً عن المال وآفاق المجد والشهرة، فحرص على جمع المال بعزيمة قوية

---

[1] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢١٨.

وشاعرية فذة حتى أوقف شعره على المدح، فقصد الخلفاء والوزراء والأمراء والأعيان فصحبهم طمعاً في ما عندهم، يقول:

تَبِعْتُ رِجالاً أَطْلُبُ المالَ عِنْدَهُمْ فكَيْفَ يكُونُ المالُ مُطَّلَباً عِنِدي[1]

ويقول:

وأَحَبُّ آفاقِ البِلادِ إلى الفَتَى أَرْضٌ يَنَالُ بها كَرِيمَ المَطلَبِ[2]

والبحتري كان متقلب المزاج في ولائه للمذاهب الدينية والسياسية، مجارياً في ذلك إنسان عصره كيفما اتفق له ذلك وما يدل على ذلك أن البحتري كان يدين بعقيدة المعتزلة ولمّا اتصل بالمتوكل السني نزع إلى أهل السنة مديناً بعقيدتهم وصار يمدح المتوكل بأنه إمام السنة وسار على هديها وهدي القرآن الكريم يقول:

عَرَّفْتَنَا سُنَنَ النَّبِيِّ وهَدْيَهِ وقَضَيْتَ فِينَا بالكِتَابِ المُنْزَلِ[3]

ومما يدل على تقلبه وتبدله في المذاهب الدينية ما صرح به البحتري لإبراهيم بن عبد الله الكجي فيما رواه الصولي[4].

ولعل هذا التغلب في المذاهب الدينية اقتضته نزعته إلى المدح حباً في أجزال الأعطيات فتلوَّن بألوان الساسة، وغدا على مذهب من يتسنم كرسي السلطة ويجزل العطاء.

ومهما يكن من شيء، فإن نصاعة بيانه، ورقة كلامه، وجزيل شعره، جعلته شديد الافتخار بفنه، كثير الاعتداد بنفسه، كما أنها تنفي عن شاعرنا ما زعموه من أنه كان وسخاً كزاً شحيحاً.

---

[1] ديوان البحتري، ج١، ص: ٤٩٤.

[2] ديوان البحتري، ج١، ص: ٢٨٣.

[3] ديوان البحتري، ج٣، ص: ١٦٢٧.

[4] ديوان البحتري، الصولي، ص: ١٢٣.

ويفخر بقوافيه قائلاً:

إليك القــوافي نازعــات شــوارداً يسير ضــاحي وشــيهاً وينمــنمَ
ومشرقة في النظم عــزاً يزيــدها بهاءً وحســناً أنهــا لــك تــنظمَ

وقال أيضاً:

أهُزَّ بالشَعر أقواماً ذوي وسنٍ فــي الجهل لو ضربوا بالسيف ما شــعروا
عليَّ نخت القوافي مــن مقاطعهــا ومــا علــيَّ إذ لــم تَفهــم البقــر

أنه يقول وقد عمد إلــى الصــورة البهيجــة واللفظــة المنتقــاة والديباجــة الطلقة المشرقة:

ألست الموالى فيك نظــم قصــائد هي الأنجم اقتادت مع الليل أنجما
ثناءً تخال الــروض فيــه منــوراً ضحى وتخال الوشيِ فيه منمنمــا

الفصل الثاني

التعريف بالديوان

المبحث الأول: شعره.

المبحث الثاني: أغراض شعره.

المبحث الثالث: مكانته الشعرية.

المبحث الأول

شعره

خلق البحتري شاعراً بكل ما تنطوي عليه هذه الكلمة من معانٍ، فقد أولي نفساً شفافة، فطرت على الحس الدقيق الذي يهتز للجمال حينما يصادفه، وامتازت بخيال صافٍ صبغته البادية واكسبته جلاء، ثم صبغته الحاضرة بأصباغها الزاهية، وتؤكدان على ذوق سليم. وإن كان الشعر يتطلب النظر ودقة الملاحظة، وصدق الحس، وتنبه الفكرة والعاطفة، وروعة البيان، فالبحتري هو الشاعر حقاً؛ وهو من أطبع شعراء العرب بإحساسه ووجدانه، وعامة أسلوبه من ألفاظ وتراكيب وقواف[1].

البحتري يمثل الشاعر الجاهلي الفطري في عصر الثقافة العربية، فهو يأبى إلا أن يطلق نفسه على سجيتها، لا ينحرف بها عن مجراها الطبيعي للتقيد بسنن أو قوانين، ولا يكلفها التعمق في أي شيء، لا في التفكير المنطقي الذي اتخذه بعض معاصريه مذهباً للشعر، ولا في تعقيدات البديع، الذي جعل منه آخرون علماً ذا أصول؛ إنما ترى أن الشعر لمحٌ للأشياء خاطف، والإشارة عنها ببيان بليغ. ومذهبه في ذلك مذهب امرئ القيس إمام شعر الطبيعة الذي يتخذه مثلاً أعلى للشعر، يستند عليه في مناهضة شعراء عصره الذين يذهبون غير مذهبه، ويعيرونه أحياناً لشذوذه عن طريقتهم[2]، فيقول:

كَلَّفْتُمُونا حُدودَ مَنْطِقِكمْ ... في الشِّعْرِ يُلْغَى عن صِدْقِهِ كَذِبُهْ

ولم يَكُنْ "ذُو القُروحِ" يَلْهَجُ ... بالمَنْطِقِ ما نوعُهُ وما سِبَبَهْ؟

والشِّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إشارَتَهُ ... وليس بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ[3]

---

[1] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١٨ – ٥١٩.

[2] المرجع السابق، ص: ٥١٩.

[3] الديوان، ج١، ص: ٢٠٩. ذو القروح: امرئ القيس.

استطاع البحتري أن يتسنم قمة الإبداع في حسن التعبير عن معانيه بوضوح وجمال، فبدت وكأنها كما يقول ابن الأثير: "نساء حسان عليهن غلائل مصبغات وقد تحلين بأصناف الحلي"[١].

ويقول عمر فروخ في شاعرية البحتري: شعر البحتري غريب الأغراض ظاهر المعاني حلو الألفاظ سهل التراكيب[٢].

قال الآمدي: "البحتري أعرابي الشعر مطبوع وعلى مذهب الأوائل ما فارق عمود الشعر قط. وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام"[٣].

وقال الثعالبي: "الإجماع واقعٌ على أنه أطبع المحدثين والمولدين، وأن كلامه يجمع الجزالة والحلاوة والفصاحة والسلاسة".

وقال فيه ابن رشيق: "وأما البحتري فكان أملح صنعة، وأحسن مذهباً في الكلام، يسلك فيه دماثة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلفةٌ ولا مشقة". وقال فيه ابن الأثير: "إن مكانه من الشعراء لا يجهل، وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريباً ضوءها بعيداً مكانها. وهو على الحقيقة قينة، الشعراء في الإطراب وعتقاؤهم في الإغراب"، وكذلك قال الصولي: "ولا أعرف أحداً بعد أبي تمام أشعر من البحتري، ولا أغض كلاماً، ولا أحسن ديباجة وهو مستوى الشعر، حلو الألفاظ مصقول الكلام"[٤].

والبحتري شاعرٌ مكثر متكسب يحسن المديح ويجيد العتاب، بل هو أحسن المحدثين عتاباً واعتذاراً. قال عبد الله بن المعتز: "واعتذاراته في

---

[١] مريم بشير وداعة، أنواع الجمل مطبقة في شعر البحتري، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ص: ٩.

[٢] تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، عمر فروخ، دار العلم للملايين، ص: ٣٥٨.

[٣] الموازنة، الآمدي، ص: ٨.

[٤] الثعالبي، ابن رشيق، ابن الأثير، المثل السائر، أخبار البحتري، الصولي. أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت، ص: ١٤٨.

قصائده إلى الفتح بن خاقان ليس للعرب، بعد اعتذارات النابغة إلى النعمان، مثلها". وفخره جيدٌ قليلُ، ورثاؤه وهجاؤه قليلان رديئان وغزله عذب جميل ولكنه تقليدي لا يصدر عن عاطفة. وأحسن خصائصه في الغزل حسن العتاب وبراعة الوصف وذكر الطيف والخيال. أما الفن الذي فاق البحتري فيه أقرانه فالوصف بنوعيه وبأوجهه جميعها، ولقد غلب الوصف على فنون البحتري كلها وكثرت عنده أوصاف القصور والرياض"[1].

ومدح عبد الله بن المعتز سينية البحتري في إيوان كسرى فقال: "ليس للعرب سينية مثلها".

وذكر ابن رشيق: "أن البحتري كان يضع الابتداء مطلع القصيدة، سهلاً ويأتي به عفواً، وكان كلما تمادى "طالت قصائده" قوى كلامه. غير أن تخلصه (انتقاله في القصيدة من غرض إلى غرض كالانتقال من الغزل إلى المديح مثلاً) رديء في أحيان كثيرة.

وكان البحتري تشبه بأبي تمام في شعر ويحذو مذهبه وينحو نحوه في البديع الذي كان أبو تمام يستعمله، ويراه صاحباً وإماماً، ويقدمه على نفسه ويقول في الفرق بينه وبين أبي تمام: "إن جيد أبي تمام خيرٌ من جيده ووسطه ورديئه خيرٌ من وسط أبي تمام ورديئه؛ وكذا حكم هو على نفسه"[2].

كان البحتري يحس أنه خليق أن يرتفع بشعره إلى منزلة أرقى من المنزلة التي وصل إليها، تلك المنزلة التي يحدثنا عنها بعض العلماء إذ إنه رأى البحتري في منبج يدخل المسجد من باب ويخرج من باب، ينشد الشعر في طريقه واقفاً على الحلقات، ثم يخرج من المسجد فيمدح باعة البصل والباذنجان، ثم ارتقى فمدح أمراء الولايات وقواد الجيش في العواصم، ثم رحل لبغداد فاتصل بالخلفاء العباسيين، ومدحهم جميعاً"[3].

---

[1] تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، عمر فروخ، ص: ٣٥٩.

[2] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ص: ٨٢٠٤.

[3] تاريخ الأدب العربي العباسي الأول، د. شوقي ضيف، ص: ٣٥٦.

المبحث الثاني
أغراض شعره

موضوعات شعر البحتري أو أغراضه عامة هي الأغراض الغالبة على الشعر العربي وشعر التكسب أو الاحتراف إذا جاز لنا هذا التعبير في مجال الشعر. ومعظمه في المديح قصد به الخليفة العباسي وكبار معاونيه من الوزراء والكتاب والقادة والرؤساء[١]، منادماً ستة من الخلفاء ابتداء من المتوكل. وهم المتوكل والمنتصر والمعتز والمستعين والمعتدي والمعتمد، وظل يقول الشعر أكثر من ستين عاماً، فكان من الطبيعي والأمر كذلك أن يأخذ بضبع الشعر، وأن يضرب في كل أغراضه بسهام من مديح واعتذار ورثاء وهجاء وغزل وخمر ووصف، ولقد أجاد البحتري إجادة بينة في المديح والاعتذار والرثاء والغزل والوصف بأنواعه، بل إنه جدد فيه وأصبح رائد شعر الوصف في المرحلة العباسية وواضع أسسه فوصف الطبيعة الخلابة وقصور العباسيين ومواكبهم والمراكب النهرية والبحرية، ووصف الفرس والناقة والذئب، كما وصف إيوان كسرى بالسينية المشهورة[٢].

١/ المدح:

والبحتري في مديحه يعرض للمعاني العامة التي اعتادها شعراء العرب من إضافة صفات المثال الكامل للرجل، وأولها بطبيعة الحال صفة الكرم، والهيبة، وكريم الشيم، وتترد في شعره بصورها التقليدية مع تلوين في العرض بما يناسب المقام[٣]، ومن المعروف أن المديح منذ كان، كان باباً من أبواب التكسب وجلب المنفعة، ولكنه كان يختلف من شاعر إلى آخر، فزهير لم يكن يمدح الرجل إلا بما فيه، بل إن حياءه من ممدوحه

---

[١] الأدب في عصر العباسيين، محمد زغلول سلام، مطبعة المعارف، الإسكندرية، ص: ٤٨١.

[٢] الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفى الشكعة، ص: ٧٠٧.

[٣] الأدب في عصر العباسيين، ص: ٤٨٢.

الأول هرم بن سنان كان يمنعه أحياناً من لقائه ويشعر بالخجل لكثرة ما أعطاه، وأغلب الظن أن الشعراء الجاهليين كانوا قريبين من زهير، كالنابغة الذبياني، وحسان بن ثابت، ولبيد بن ربيعة، على أننا نجد أمثال الحطيئة ممن كانوا يهدفون من وراء مديحهم إلى المال والعطايا[1]، وإلا فإن في القول مندوحة للهجاء، وحين جاء الإسلام، خفت صوت الشعر قليلاً، ومن باب أولى شعر المديح، وحسبك أن تعلم أن الخليفة الفاروق، اشترى من الحطيئة أعراض المسلمين بدريهمات معدودة بالقياس على ما استفاض في عصر الأمويين ثم العباسيين من أموال، على الشعراء والمادحين وربما أغنت قصيدة شاعراً، بل ربما كان بيت من الشعر هو السبيل إلى حياة رافهة وثراء عريض، ألم يعتز عبد الملك بن مروان لبيت جرير:

أَلَسْتُمْ خيرَ من ركب المَطَايَا وأندْى العَالمينَ بُطونَ راحٍ

وكان قبلئذ محروماً من الدخول إلى بلاطه، ثم توالى الشعراء المداحون وتوالت عليهم الهبات والأرزاق حتى أصبح المديح صنعة رائجة، يسعى إليها كل من أنس في نفسه قدرة على التزلف والملق، ولكم وجدنا من الشعراء من اختص نفسه بممدوح واحد، قصر وربما على أبنائه بعده شعره كله، كما أننا نرى بعضهم لا يتورعون عن السعي وراء ذوي النفوذ والسلطان، أياً كانوا وأينما كانوا يصنعون لهم ما يؤملون به الخير الكثير، والربح الوفير. وقليل منهم من مدح ثم هجا، وقليل منهم من بذل ماء وجهه، وأراق أمام الممدوحين كبرياءه، إلا أن كل هذه الفئات وجدت سبيلها إلى الظهور، على تفاوت فيما بينهم، في التماسك والتبذل، فأين يقع شاعرنا البحتري من هؤلاء[2].

---

[1] ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، مج١، مطبعة دار الشروق العربي، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٩م، ص: ٩ – ١٠.

[2] ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، ص: ١٠.

ونجد حنا الفاخوري يتفق مع بدر الدين الحاضري في أن مديح البحتري ليس طرقه البحتري وحده وإنما طرقه جمٌ من الشعراء قبل البحتري، وأغرقوا في التفنن فيه، وما لبثوا أن أتوا على عموم ما يمكن أن يقال فيه من معانٍ، فاضطر كل شاعر أن يكرر ما قاله سابقوه، فقل الإبداع في هذا الباب، وذاع فيه التقليد؛ إلا أن كل شاعر نابغ تمكن من إخراجه في صورة خاصة ظهرت فيها نزعته الشعرية الفردية، وآثار عصره[1].

وهذه الصورة الخاصة هي التي نجدها في مدح البحتري، وهي قوام المتعة الأدبية في شعره ومن ثم فمدح البحتري يقدم لنا فوائد نفسية، وفوائد تاريخية، ومتعة أدبية:

أ/ الفوائد النفسية: في مدح البحتري أولاً فوائد نفسية لأنه وإن لم يمثل دائماً نفوس الممدوحين على حقيقتها، بسبب ما جرى عليه في العموم من إطراء مفرط ينافي الواقع، يمثل على كل حال، أحسن تمثيل، تلك الناحية من نفوس الممدوحين المتحرفين أبداً إلى روائع الإطراء والتضخيم تتصاعد إليهم من مباخر المداجاة والرثاء؛ ويقدم لنا صورة لذاته تتجلى فيها نفسية ذلك الشاعر المتعبد لوثن المال حتى لا يكاد يبتغي من الدنيا سواه ويضحي له بعزته وكرامته، وشاعريته على السواء فلا يخشى من التذلل بين أي كبير يأمل منه عطاء.

والبحتري من أصحاب النفوس الضعيفة، وقد لا تخلو نفس البحتري من نزاع طبيعية إلى الوفاء، وبعض الترفع والرقة، ويظهر ذلك من إعجاب بنفسه وشعره وقومه ومن حنين رقيق إلى وطنه الشام، مع أن العراق موئل رزقه، إلا أن عبادته للمال، وطول ملاحقته له قد ضيقا فيه تلك النزعات النبيلة، فكان، على العموم مؤوناً بخيلاً، مسرفاً أحياناً في نشدان اللذة الدفيئة[2].

---

[1] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١٢.

[2] المرجع السابق، ص: ٥١٣.

ب/ الفوائد التاريخية: قد ظهرت في ملازمته لذوي النفوذ في زمانه، واتصاله بالخلفاء والأمراء والوزراء والقواد، فقد أبقى ذلك في مدحه مادة خصبة لتاريخ عصره، حتى أنه أتى على ذكر حوادث أغفلها المؤرخون[1].

البحتري يمدح المتوكل ويصف موكبه لعيد الفطر قائلاً:

بالبر صمتَ وأنت أفضل صائمٍ وبسنة الله الرضية تفطرُ
فأنعم بيوم الفطرِ عيداً إنه يوم أغرَ من الزمان مشهرُ

ج/ المتعة الأدبية: فقد تبلغ في مدح البحتري درجة من التفوق مرموقة. فإنه، وإن قلد في الأسلوب وصدر مدائحه بغزل لا يمت إلى المدح بصلة ولا يربطه به في الغالب منطق، وإن لم يأت بكثير من الجديد في المعاني، ولم يخرج عن المألوف فيها من إطراء الشجاعة والكرم، والحلم والوقار، فإنه قد عرف، على الإجمال أن يتلافى ما تورط فيه عامة المداح من الإسراف في المغالاة وتخطي المعقول، ولم تبدُ على مدحه آثار الصنعة الباردة إلا في النادر، لما ألبسه من جمال أسلوبه المنسجم الرقيق، ومن براعة سياسته في إظهار الرقة واللطف في ألوان عذبة أخاذة.

فكل شيء يشهد بأن الشعر كان لا يستصعب على البحتري، فقد كان يتدفق على لسانه تدفقاً، حيث يقال عنه نقل كثيراً من مداحه، حتى يبلغ ذلك عشرين قصيدة إلى مدح أناس جدد.

فالمديح أهم موضوع استنفذ شعر البحتري، فقد عاش، يمدح الخلفاء العباسيين، ووقف بنفسه على الإشادة بالدولة ورجالاتها، بحيث يعد الشاعر الرسمي له[2]، ومن أمثلة ذلك قوله في المتوكل:

---

[1] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١٤.

[2] المرجع السابق، نفس الصفحة.

شَـــرَفاً بِنـــي العَبَّـــاسِ إنَّ أَبَـــاكُمُ عَـــمَّ النَّبِـــيِّ وعِيصُـــهُ الْمُتَفَـــرِّعُ
وأَرى الخِلاَفَةَ، وَهْيَ أَعْظَمَ رُتْبَـــةٍ حَقّاً لَكُمْ، وَوِرَاثَـــةً مـــا تُنْـــزَعُ[1]

وقد اجتاز مدح البحتري أربعة أطوار رئيسية:

الحيرة بين تقليد معاني أبي تمام وبديع مسـلم بـن الوليـد وإباحيـة أبـي نواس وصراحته، بدء بروز الشخصية فـي العـراق، نضـوج الشخصـية مـع المتوكل؛ الضعف بعد المتوكل، وطغيان الصنعة[2].

وقال يمدح المتوكل يسترضي به جواريه تودداً وحباً ومن ذلك قول البحتري:

تعاللت عن وصل المعنّى بك الصب وأثرت دار البعد منك على القـرب
وحملتنـي ذنـب المشـيب وأنـه لذنبك إن أنصفت في الحكم لا ذنب
ووالله ما اخترت السلوُ على الهوى ولا خلت عما تعهدين مـن الحـب
ولا ازداد إلا جـدة وتمكنـا محلك من نفسي وحظك من قلبـي
فلا تجمعي هجراً وعتباً فلـم أعـد جليداً على هجر الأحبـة والعتـب

الضرب الثاني من ضروب الشعر هو الرضـاء، والرثـاء ضـرب مـن ضروب المديح[3].

٢/ الرثاء:

فرثاء البحتري عاطفة فتية أكثر مما هـو عاطفـة حقيقيـة، ومـدح أكثـر مما تفجَّع، وأسف أكثر مما هو اشتراك في الألم[4].

ويقول حنا الفاخوري أن أسلوب البحتري في الرثـاء فخـم جليـل تطغـى فيه العاطفة الحقيقية، وأحسن رثائه ما قاله في المتوكل[5].

---

[1] العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص: ٢٩٢.
[2] الديوان، ١٣١١/٢ – حنا الفاخوري، ص: ٥١٥.
[3] ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، ص: ١٠.
[4] ديوان البحتري، حنا الفاخوري، ص: ٩.
[5] المرجع السابق، ص: ٣ – ٥.

الرثاء وثيق الصلة بصفة خلقية هي الوفاء، وبصفة نفسية وإنسانية هي صفاء المشاعر ورقتها، وقد يصبح من المحتم وفقاً لتلك المعايير، أن يكون للبحتري شعر رثائي ممتاز[1].

كاد البحتري يحصر رثاءه في نسيب يعز عليه فقده، أو صديق يشجوه بعده، فقد رثى المتوكل وكان أحب الخلفاء إليه ورثى أبا سعيد وابنه يوسف وآل حميد وجميعهم أنسبائه، ورثى غلامه قيصر وكان يحبه، وجارية له كان يهواها. لذلك جاء رثاؤه على قلته عاطفياً صادق التفجع[2].

فالبحتري مجيد عندما يصور عواطفه الحزينة، ومن أقوى قصائد رثائه ما أنشأه باكياً المتوكل، وكان البحتري يبلغ في بعض قصائد رثائه درجة أرفع مما بلغها في قصائد مدحه هؤلاء الذين رثاهم، وقد سئل البحتري في ذلك فأجاب بأن من تمام الوفاء أن تفضل المراثي المدائح.

ولقد رثى البحتري كبار الدولة كرثائه المتوكل والفتح بن خاقان وكبار القواد، وأجاد كذلك في التعزية التي كان يمزجها بالحكمة. أما رائعته في رثاء المتوكل الذي اغتيل غدراً بيد ولي العهد المنتصر، وقد كان البحتري شاهد عيان يقول فيها:

مَحَلٌّ عَلَى "القَاطُول" أَخْلَق دَاثِرُهْ ... وعادَتْ صُرُوف الدَّهْرِ جَيْشاً تُغَاوِرُهْ

كأَنَّ الصَّبَا تُوفِي نُذُوراً إِذَا أَنْبَرَتْ ... تُرَاوِحُهُ أَذْيَالُهَا وتُبَاكِرُهْ

تَغَيَّرَ حُسْنُ "الجَعْفَرِيِّ" وأُنْسُهُ ... وقُوِّضَ بادِي الجَعْفَرِيِّ وحاضِرُهْ

تَحَمَّلَ عنهُ ساكِنُوهُ فُجَاءَةً ... فَعَادَتْ سَوَاءً دُورُهُ ومَقَابِرُهْ

إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَ لنا الأَسَى ... وقد كان قَبْلَ اليوم يَبْهَجُ زائِرُهْ

ولم أَنْسَ وَحْشَ القَصْرِ إِذَّ رِيعَ سِرْبُهْ ... وإذا ذُعِرَتْ أَطْلاَؤُهُ وجآذِرُهْ

وإِذْ صِيحَ فيهِ بالرَّحِيل فَهُتِّكَتْ ... عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وسَتَائِرُهْ

---

[1] أدباء العرب الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢٢٧.

[2] المرجع السابق، نفس الصفحة.

وَوَحْشَتَهُ حَتَّى كـأنْ لـم يُقِـمْ بـهِ أَنيسٌ، ولم تَحْسُنْ لِعَـيْنِ مَنَـاظِرُهْ
ولَمْ تَجْمَـعِ الـدُّنيا إلَيْـهِ بَهاءَهـا وَبَهْجَتَها والعَيْشُ غَضَّ مَكاسِرُهْ[1]

وقد بدأ مرثيته بالوقوف على أطـلال الجعفـري وكـان الشـاعر يبكـي المتوكل والدولة والمجد الشخصي فـي آن واحـد، بـدأ بالبكـاء علـى القصـر المنكوب، فقد عبر البحتري عن مصير القصر الـذي هـو رمـز فـي الخلافـة، بأنه داثر ثم أخلق، ونحن نرى الشـاعر يتجنـب المبالغـة ويعمـد إلـى وصـف حقائق الأحداث وهو يصور لنا الذعر الـذي اكتنـف ارتكـاب الجريمـة ويـورد حقائق تتمثل في تحمل ساكني القصر فجأة وفي حيوانـات الحيـر[2] وقـد ريعـت أسرابها، وتهتيك الستائر والعواجر، وتركيز الشـاعر هنـا بعـد القصـر يتجـه إلى الحيوان لا الإنسان وكأنها عملية إسـقاط نفسـي تـتم عـن ازدرائـه لهـذا الجنس الذي يفتك الولد فيه بأبيـه، وتطغـى شـروره حتـى لـتطمس مظـاهر الجمال والبهاء.

ثم يتساءل الشاعر تساؤل المذهول:

فأَيْنَ الحِجَابُ الصَّعْبُ حين تَمَنَّعَـتْ بِهَيْبَتِهـا أَبوابُـهُ ومَقَاصِـرُهْ
وأَيْنَ عَمِيدُ النَّاسِ فـي كـلِّ نَوْبَـةٍ تَنُوبُ، ونَاهِي الدَّهْر فيهمْ وآمِرُهْ[3]

فالجريمة أودت بحياة المتوكل دون أن يجد من رجالـه مـن يـدافع عنـه سوى الفتح الذي حماه بجسده فلحقه ما لحق الخليفة من هلاك، يقول:

تَخفَىَّ لـهُ مُغْتَالُـهُ تَحْـتَ غِـرَّةٍ وأَوْلَى لِمَنْ يَغْتَالُـهُ لَـوْ يُجَـاهِرَهْ
فَمَا قاتَلَتْ عنـهُ المَنُـونَ جُنُـودُهُ ولا دافَعَـتْ أَملاكُـهُ وذَخَـائِرُهْ
ولا نَصرَ (المُعْتَزَّ) مَنْ كانَ يُرْتَجَي لهُ؛ وعَزيزَ القَوْم مَنْ عَزَّ ناصِرُهْ[4]

---

[1] البحتري، الديوان، ١٠٤٥/٢ – ١٠٤٣، القاطول: نهر كأنـه مقطـوع مـن دجلـة. تغـاوره: تحاربـه. الصبا: ريح الشرق. قوض: تهدم. جآذره: جمع جؤذره وهو ولد البقر.

[2] الحير: حديقة الحيوانات.

[3] الديوان، البحتري، ١٠٤٧/٢.

[4] الديوان، البحتري، ١٠٤٧/٢.

وإذا تأملنا مفردات البحتري من بداية القصيدة لوجدناها قوية جزله وكذلك صوره إذا ما تأملنا وجدناها قائمة دامية عنيفة، وموسيقى الجرس والألفاظ تتسق مع ذلك تماماً فهي هادرة صاخبة كأنها تحكي صخب الأسلحة التي استخدمت في ارتكاب الجريمة.

٣/ الوصف:

يعدُ الوصف أهم أغراض شعره[١]. فهو بما أوتي من حس مرهف، وبيئة بدوية صافية، ثم انتقال إلى مواطن الحضارة في قصور بغداد، ومنتزهات دمشق، وبساتين حلب، فاضت قريحته بشعر وصفي، وإن كان قليل الابتكار والتجديد[٢].

من يتصفح وصف البحتري في وصفه شاعر طبيعة وشاعر عمران، ترعرع في البادية فمنحته طبيعة منبج الخلابة حب الصفاء، ثم ارتحل إلى بغداد وإلى قصور الأكاسره، فأضاف إلى تأثير البداوة في حسه تأثير الحضارة، فللبحتري لونان رئيسان في الوصف، الوصف البدوي الذي يعنى بالحياة في البادية والوصف الحضري الذي تناول مظاهر العمران في المدن[٣].

برز الوصف البدوي في شعر البحتري في وصف الذئب ووصف الأسد ووصف الخيل والرواحل[٤]. أو بما يسمى وصف الطبيعة، فله في وصف الطبيعة لوحات كثيرة جمع فيها ألواناً من المباهج الفاتنة التي استأثرت بفؤاده واستولت على حسه طول حياته، كما له جملة من الأوصاف في موضوعات منفردة من الطبيعة، كوصف الريح، والمطر،

---

[١] الشعراء المحدثون، العربي حسن درويش، ص: ٢١١.

[٢] ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، ص: ١١ – ١٢.

[٣] أعلام في الشعر العباسي، حسين الحاج، ط١، ١٩٩٣م، بيروت، ص: ١٩٤.

[٤] المرجع السابق، ص: ٢٤٠.

والنسيم، وشقائق النعمان، والرياض المزهرة وإلى جانب هذا كله نجد عند البحتري أوصافاً بدوية تناول فيها بعض الحيوانات كما ذكرنا سابقاً[١].

يقول في وصف الذئب:

وَأُطلَسَ مِلَءِ العَيْنِ يحْمِل زَوْرَه ... وأَضْلاعَهُ من جانِبَيْه سَوى نَهْدُ
له ذَنَبٌ مِثْل الرِّشاءِ يجرُّه ... ومَتْنٌ كَمَتْنِ القَوْسِ أَعْوَجُ منْأَدّ
طوَاه الطّوَىْ حتى اسْتَمَرَّ مَرِيرُهُ ... فما فيهِ إلاَّ العَظْمُ والروح والجِلْدُ
يقضْقِضُ عُصْلاً في أَسِرَّتِها الرَّدَى ... كقَضْقَضَةِ المَقْرورِ أَرْعدَه الْبَرْدُ[٢]

والمشهد تمثل تصويري صوتي ينقل الحقيقة الواقعية، فهذا الذئب طواه الجوع فازداد ضراوة وشراسة، وليس فيه من الوجود سوى عظم وروح وجلد، ويصك أنيابه بعضها ببعض لشدة هياجه، فيسمع لها صوت عظام تتكسر[٣].

أما الوصف الحضري المتمثل في العمران فموضوعه فيه تأثر البحتري تأثراً شديداً بمشاهد الحضارة الفخمة، واستهوته مظاهر عمرانها، فأولع بوصفها، ولاسيما وصف القصور من مثل ما شاده المتوكل، وقصري المعتمد المعروفين بالمعشوق والمشوق كما أنه وصف (الزاو) وهي السفينة التي كان يركبها الخليفة لنزهته، والعيون التي أقامتها أم المعتز لسقاية الحجيج، وحروب الموفق وقواده في ثورة الزنج.

---

[١] ديوان البحتري، حنا الفاخوري، ص: ١٠.

[٢] البحتري، الديوان، أطلس: أغبر مائل إلى سواد يصف لون الذئب. الزور: أعلى وسط الصدر. السوى: اليدان والرجلان والأطراف. الطوى: الجوع. استمر مريره: أي قوه بعد ضعف. يقضقض عصلها: يصوك بأسنان صلبة معوجه. الأسرة: الخطوط. المقرور: الذي أصابه البرد. الرشا: الحبل. المتن: الظهر.

[٣] شرح الديوان، حنا الفاخوري، ج١، ص: ١١.

وقد أتى البحتري في هذا الباب بأوصاف شهيرة يعرفها كل مطلِّع على الأدب، أهمها وصف الأطلال إيوان كسرى التي زارها بصحبة ابنه أبي الغوث؛ وبِدوسق المعتز المعروف بالكامل؛ ووصفه بركة المتوكل[١].

يتضح لنا أن البحتري له رصيد فخم من وصف العمران فكان كلما يبشد الخليفة قصراً سرعان ما أسرع البحتري في وصفه بدقة، مثل قصر الجعفري، والصبيح، والمليح ويقول في قصر الصبيح:

واستُتِمَ الصَّبِيحُ في خَيْرِ وَقْتٍ ... فَهْوَ مَغْنَى أُنْسٍ ودارُ مُقَامِ
ناظِرٌ وِجْهَةَ المَلِيحِ فَلَوْ يَنْطِقَ ... حَيَّاهُ مُعْلِناً بالسَّلاَمِ
أُلْيسَا بَهْجَةً وقابَل ذَا ذَا ... ك فَمِنْ ضاحكٍ ومِنْ بَسَّامِ
كالمُحِبَّيْنِ لَوْ أَطاقا الْتِقَاءً ... أَفْرَطَا في العِنَاقِ والإِلْتِزَامِ[٢]

فهو يبين الحياة في القصر ذي الأحجار الجامدة فتحرك ويفصح عن بهجة فيحي جاره الذي يقف شامخاً إزائه[٣].

ومن جديد البحتري وصف المعركة البحرية بين العباسيين والروم فقد استطاع أن يصور المعركة تصويراً بديعاً لم يسبق إليه، وبخاصة حين يشير إلى أن هذه المعركة الطاحنة لم تخلف غباراً تعبث به الريح لأنها تدور على صفحة الماء كما أن جثث القتلى لا تجد أرضاً تستقر عليها، لأن مياه البحر تبتلعها فلا تترك لها أثراً، يقول البحتري:

عَلَى حِينَ لا نَقْعُ يُطَوَّحُهُ الصَّبَا ... ولا أَرْضَ تُلْغَي للصَّرِيعِ المُقَطَّرَ[٤]

وقد ألفنا أن نرى في صورة المعارك عند شعرائنا الأقدمين غباراً كثيفاً تثيره حوافر الخيل وقتلى تتناثر جثثهم.

---

[١] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١٨.
[٢] الديوان، ٢٠٠١/٣.
[٣] الشعراء المحدثون، العربي حسن درويش، ص: ٢١٤.
[٤] الديوان، ٩٨٥/٢. المقطر: من قطره أي صرعه صرعه شديدة.

وثمة صورة بديعة أخرى لفعل سلاح جديد هو قاذفات اللهب التي تحكم إصابة الهدف، ولا تتحول عن الأعداء إلا بعد أن يتصاعد الدخان المشبع برائحة لحومهم المحترقة[١].

يقول الشاعر:

إذا رَشَقُوا بالنَّار لم يُكُ رَشْقُهُمْ لِيقْلَعَ إلاَّ عن شِوَاءٍ مُقتَرُ[٢]

فالقصيدة موضوعها جديد، وتضمنت صوراً غير تقليدية. وصف البحتري يمتاز بوفرة صوره وجمالها؛ وصورة البحتري في الإجمال بسيطة واقعية، فيها سذاجة بدوية وفيها طرافة ورقة، وفيها حركة وقوة إيحاء، وقد تفوق عموماً في وصف الطبيعة[٣].

٤/ الغزل:

غزل البحتري: إن قلنا غزل البحتري فقولنا هذا يصدق على كل شاعر من مدّاحي العصر العباسي، وهو على الغالب نوع من الفن الكلامي يصدرون به قصائدهم تمهيداً لما يقصدون. وفي غزل شاعرنا البحتري حلاوة ولطف يحببانه إلى النفوس.

كان الأقدمون يجعلون لقصائدهم مقدمات من الوقوف على ديار الحبيب والبكاء على آثارها، ثم الرحيل عنها إلى حيث يقصدون. فحوّل المولدون ذلك إلى مقدمات غزلية يصفون بها الحبيب ويذكرون أشواقهم، ثم يتخلصون إلى المدح أو سواه. وقد لا يكون بين المقدمة الغزلية وسائر القصيدة من رابطة فكرية أو حسن تخلص. وعلى هذا كثير من شعر البحتري. وفيه يقول ابن الأثير: "إنه لم يوفق في التخلص من الغزل إلى

---

[١] الشعراء المحدثون، ص: ٢١٥.

[٢] الديوان، ٢/٩٨٤. المقتر: ذو القُتار (بضم القاف) وهو الدخان ذو الرائحة من الشواء أو البخور أو العظم المحروق.

[٣] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١١.

المديح بل اقتضبه اقتضاباً، ولقد حفظت شعره فلم أجد له من ذلك شيئاً مرضياً إلا اليسير"[1].

ليس للبحتري غزل قائم بنفسه، وإنما هو في صدور مدائحه، فمنه تقليدي بدوي يرسم به الأقدمين من وقوف وبكاء على الأطلال، ويكثر فيه ذكر أسماء عرائس الشعر كسعاد وأسماء وليلى، وذكر أماكن البدو كنجد وإضم وخبْت.

أما الجديد من غزله ففيه تحس نفسية الشاعر، وتلمس عاطفته المتوقدة. وفيه يصف عواطف نفسه وأهواءها، وشجونها وارتياحها، ويصف مواقف اللقاء والوداع، ومجال اللهو والأنس، والخمرة والحبيب. ويصف أيضاً استكانته للحب وخضوعه، وإذعانه لمشيئة محبوبه وقد يتهتك في تشبيه ولكنه لا يبلغ فيه مبلغ أبي نواس[2].

ويقول حنا الفاخوري: "غزل البحتري مبتذل المعاني، سطحي العاطفة، إلا ما قاله في "علوة" فهو حقيقي الشعور متوتر العاطفة، وهو على كل حال عامر الرقة والحلاوة، مستوفى الجمال الفني"[3].

وهو يقول في علوة:

خيال يعترني في المنام	لسكرى اللحظ فاتنة القوام
لعلوة إنها شجن لنفسي	وبَلبَال لقلبي المستهام
سلام الله كل صباح يوم	عليك ومن يبلغ لي سلامي
لقد غادرت في قلبي سقاماً	بما في مقلتيك من السهام
أأتخذ العراق هوى ودارا	ومن أهواه في أرض الشام

---

[1] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، ص: ٢٥٦ – ٢٥٧.

[2] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢٢٦.

[3] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١٠.

وأول ما عرف الحب قلب البحتري يوم تعشق علوة الحلبية، فأذكت الجذوة الأولى في فؤاده، فأذابت عاطفة على قوافيه[1]. وكانت قد صبت إليه كما صبا إليها وبادلته وداً بود. ثم تزوجها الزفافي[2]. ابتعد عنها إلى العراق، فكان لا يفتر عن ذكرها، والتشبيب بها والحنين إليها. والظاهر أن علوة كانت فتاة تتباهة تلذ إليها العين بقلوب الفتيان، وليس للصون عندها حظ كبير، لذلك لم يكن حب البحتري لها عذرياً ولا صلته بها طاهرة، وحين علم أنها تزوجت هجاها، وأوجع عرضها، ورماها بكل شائنة. وغزله فيها يظهر لنا حقيقة هذا الحب وبعده من العفاف[3] فسلت عنه ولكنه لم يسل عنها، وفي ديوانه مقطوعة يهجوها بها قد يكون نظمها فيها ساعة غضب انتابته، وإن كنا ظنّاً أنها منحوله عليه، فقد ظل قلبه لها في سامراء وبغداد كما ارتحل عنها، فهو لا ينسى يذكرها بمثل قوله في مقدمة مدحه للمعتز:

كَمْ لَيْلَةٍ فيكِ بِتُّ أَسْهَرُها ... ولَوْعَةٍ في هَوَاك أُضْمِرُهَا
وحُرْقَةٍ والدُّموعُ تُطْفِئُها ... ثُمَّ يَعُودُ الجَوى فَيُسْعِدُهَا
يا عَلْوُ عَلَّ الزَّمَانَ يُعْقِبُنَا ... أيَّامَ وَصَلٍ نَظَلُّ نَشْكُرَهَا

وكأن السنون الطويلة التي مضت بين حُبه لها في شبابه ومديحه للمعتز وهو في نحو الخمسين من عمره لم تطفئ لوعته وحرقته، فقد ظلت نار شوقه وحبه لها مشتعلة بين جوانحه، وظل يصدر عنها في قطع مفردة وفي مقدمات مدائحه من مثل قوله:

وخِلاَفُ الجِمْيلِ قَوْلُكَ للذّا ... كِرِ عَهْدَ الأَحْبَابِ صَبْراً جمِيلاَ
لا تَلُمْهُ علَى مُوَاصَلَةِ الدَّمْـ ... ـعِ فَلوُمَ لَوْمَ الخَلِيلِ الخَلِيلاَ
عَلَّ ماءَ الدُّمُوعِ يُخْمِدَ ناراً ... من جوَى الحُبَ أو يَبُلّ غَلِيلاَ[4]

---

[1] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢٢٦.
[2] العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص: ٢٩٤.
[3] أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص: ٢٢٦.
[4] العصر العباسي الثاني، ص: ٢٩٤ – ٢٩٥.

والبحتري لم يقصر حبه على علوة بل أحب أشخاصاً آخرين احتلوا فؤاده، واشتركت عاطفته فيما بينهم، فذكرهم في شعره وشبَّب بهم جميعاً.

وكأن صاحبنا لم يسعد طالعه بمن يهواهم، فابتلى بالافتراق عنهم، فكان يتشوق إليهم، ويتلهف على أيام لقائهم، فإذا ألمت به الذكريات وتغلبت عليه الأشواق، تمثلت له أخيلهم في المنام، فإذا هبَّ من نومه وكذبت اليقظة الحلم، تضاعف إلتياعه وازداد وجده فراح يشبب بطيف الحبيب ويأسى على فراقه، كأن الحلم حقيقة، ولما كثر ذلك منه طارت له شهرة في وصف طيف الخيال[١].

وقد دُعي البحتري "شاعر الطيف" للإكثار من ذكر خيال الحبيب الذي تراءى في المنام، وقد أبدع أحياناً في وصفه إبداعاً[٢]. وذلك في مثل قوله:

سَرَى من أَعالي (الشَّام) يَجْلُبُهُ الكَرَى هُبوبَ نَسيمِ الرَّوضِ تجْلَبهُ الصَّبَا
وما زارني إلاَّ وَلِهْتُ صَبابةً إليه وإلاَّ قُلْتُ أهْلاً ومَرْحَبَا

وقد أسرف البحتري في تكرار ذكر الطيف، وأدخله على الكثير من غزله حتى ليغامرني الشك في صدق عاطفته أحياناً، وإن كان شعره فيه، على الإجمال، مستوفي الجمال الفني والعذوبة[٣].

وغزل البحتري في أكثره لطيف ناعم، يزدان بحسن الوصف وفيه ما يستأثر القلوب، ويتسير العواطف في النفوس[٤].

ويقول أنيس المقدسي: يكثر في غزل البحتري ذكر الطيف أو الخيال حتى عرف به بين الشعراء. قال الحصري: "كان البحتري أكثر الناس إبداعاً في الخيال حتى صار لاشتهاره مثلاً فيقال له خيال البحتري".

---

[١] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢٢٧.
[٢] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١١.
[٣] المرجع السابق، نفس الصفحة.
[٤] أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص: ٢٢٧.

وكان على عادة الشعراء يتماجن في شعره ويتشبب بالغلمان. وكان له غلام اسمه نسيم يقول صاحب الأغاني إنه جعله باباً من أبواب الحيل على الناس فإذا حصل في ملك بعض أهل المرء إن شبب به وتشوقه ومدح مولاه حتى يهبه له، فلم يزل ذلك دأبه حتى مات نسيم[1].

وهب محمد بن علي القمي للبحتري غلاماً فكتب محمد بن علي القمي:

هَجَرْتَ كأنَ الوصْلَ عقَّب وحشةً وما خلت وصلاً قبلها يعقب الهجرا

فكتب إليه البحتري:

فتى مذ حج عفواً فتى مذ حج غفرا [لمعتذر جاءت إساءته تترى]
دعا عبرتي تجري على الجور والقصد أظن نسيماً فارق الهجر من بعدي
وقال قل للرياح إذا غدوت فأبلغي كبدي نسيماً من جناب نسيم
ندمت وقال الناس كيف تركته فقل في ملامٍ واقع بمُليم
فداؤك نفسي دن رهطي ومعشري ومبداي من علو الشام ومحضري

٤/ الفخر:

البحتري فخور بقومه، مباهياً بمكارمهم، معدداً مناقبهم مقابلاً شرف اليمن وعزها بخشونة عرب الشمال، وسوء حالهم، كما أودعه إعجابه بنفسه، وكبره المفرط، ذلك الكبر الذي طالما حال التكسب دونه في حياة الشاعر، فاضطره إلى كسر عنفوانه وعناده وهضم الإهانة في حذر، خشية صد العطاء[2].

ويقول أيضاً بطرس البستاني: إن الفخر عنده حسن، وأكثر مفاخره بشعره، ثم بقومه بني طيء وربما افتخر على انسبائه إذا لحقته جفوه منهم، فيؤنبهم،

---

[1] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، ص: ٢٥٨ – الأغاني، أبي الفرج الأصفهاني، ص: ١٧١.

[2] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١١.

ويتسامى عليهم ليظهر أن حياته فخر لهم[1]، يتضح لنا أن البحتري فخور بنفسه وشعره، وكثير من قصائده في المدح لا يخلو من الإحلال بهما كقوله:

إنَّ قَوْمي قَوْمُ الشَّريف قديماً ... وحديثاً أُبُوَّةً وجُدُودَاً
وإذا ما عَدَدْتُ "يَحْيِ" و"عَمْراً" ... "وأَبانَاً" و"عامِراً" و"الوَلِيدَا"
و"عُبيَدْاً" أو "مُسْهراً" و"جُدَيَّاً" ... و"تَوُدولاً" و"بُحْتُراً" و"عَتُودَا"
لم أَدَعْ مِنْ مَنَاقبِ المَجْدِ ما ... يُقْنِعُ مَنْ هُمَّ أَنْ يكونَ مَجيداً[2]

وبعد هذا التوالي الموسيقي المبهر بين أسماء الآباء والأجداد، يقول البحتري بافتخار ثامغ إنهم لم يتركوا من فضائل المجد شيئاً يتطلع إليه المتطلعون، ثم يأخذ في تفضيل ذلك المجد التالد الذي لم تبق طيء من أسبابه شيئاً يقول:

ذَهَبَتْ طَيِّءٌ بِسَابِقةِ المَجْدِ ... على العَالَمِينَ بأُساً وجُودَا
مَعْشَرٌ أَمْسَكَتْ حُلُومُهمَ الأَرْضَ ... وكادت من عِزِّهم أَنْ تَمِيدَا
نَزَلُوا كاهِلَ الحِجازِ فأَضْحَى ... لهمُ ساكِنُوهُ طُرَّاً عَبيدا
مَنزلاً قارَعُوا عليهِ "العَمَالِيـ ... ـقَ" و"عاداً" في عِزِّها و"ثَمُودَا"[3]

أما فخره بشعره فكثير منها قوله:

وأَنَا الذَّي أَوْضَعْتَ غَيْرَ مُدَافَعٍ ... نَهْجَ القَوافي وَهْيَ رسْمُ دارِسُ

ويقول شوقي ضيف: الفخر عند البحتري ضعيف، فهو يفخر بآله وعشيرته بحتر وقبيلته طيء ناعتاً لهم بالكرم والشجاعة والكثرة ولكنه لا يصدر في ذلك عن إيمان قوي بالمجد، وكأنما عصبيته القبلية ضعيفة، بل لقد كان إحساسه بعروبته أيضاً ضعيفاً[4].

---

(1) أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص: ٢٢٩.
(2) الديوان، ١/٥٩١.
(3) الديوان، ص: ٥٩٢ – ٥٩٣.
(4) العصر العباسي الثاني، ص: ٢٩٣.

٥/ الهجاء والعتاب:

وأقل بضاعة البحتري في ديوانه الهجاء. وهنا يختلف صاحب الأغاني عن المزرياني. فالأول يقص علينا سبباً لذلك القصة التالية نقلاً عن الأخفش عن أبي الغوث (ابن البحتري): "إن الشاعر لما حضرته الوفاة دعا ابنه وقال له أجمع كل شيء قلته في الهجاء، ففعل. فأمراه بإحراقه ثم قال له يا بني هذا شيء قلته في وقت فشفيت به غيظي، وكافأت به قبيحاً فعل بي، وقد انقضى أربي في ذلك، وإن بقي روي. وللناس أعقاب يورثونهم العداوة والمودة وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو معادتك لا فائدة لك فيه، قال فعلمت أنه نصحني وأشفق عليّ فأحرقته"[١].

قال يهجو قوماً من بلده في قصيدته "عدوهم في نعمة" من الكامل[٢]:

قال "للأرُنْدِ" إذا أتى "الرَّوحين": لا تَقْرا السَّلامَ عَلى أبي مَلْبُوسِ
دارٌ بها جُهلَ السَّماحُ وَأنِكر المـ روف بين شَمامِسٍ وَقَسُوسِ
لم يسمعوا بالمكرمات، ولم ينح في دارهم ضيف سوى إبليس
فَعَلَى وَجُوهِهِم لِبَاسَ خَوَايةٍ وَعلى رُؤوسِهِم قُرُونُ تُيُوسِ
لا تَدْعُونَ أبَا الوَليدِ لِنَائِلٍ خُلُقَ الحِمَارِ وَخِلْقَةُ الجَامُوسِ

وصف البحتري كثيراً بأنه لم يحسن الهجاء فـ"البحتري" تصرف حسن في كل ضروب الشعر سوى الهجاء فإنه لم يحسن[٣]. أما المزرياني: فينسب إلى البحتري سوء العهد وخبث لسان علي بن العباس الرومي ويضربون عن إضافة البحتري إليه وإلحاقه به، مع إحسان ابن الرومي في إساءته وقصور البحتري عن مداه فيه، وأنه لم يبلغ في دقة معانيه وجودة ألفاظه وبدائع اختراعاته. أعنى الهجاء خاصة".

---

[١] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، ص: ٢٤٨.

[٢] ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، ص: ٤٣٦. الأورند: اسم نهر العاصي حين يدخل انطاكية. الرُّوحين: قرية من حلب. الخواية: الفراغ، والخلو.

[٣] الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ٣٩/٢١.

ثم يذكر قلة وفائه لأنه هجاء نحواً من أربعين رئيساً ممن مدحهم، منهم خليفتان[1].

للبحتري كثير من القطع في الهجاء تقرأها جميعاً فتخرج منها بنتيجة واحدة هي أن البحتري شاعر غير مطبوع على الهجاء، وأن الهجاء لم يجده البحتري ولم يتقن أسبابه، وأنك تلمس في هذا الهجاء ظاهرتين:

إحداهما: قصر نفسه فيه فجعل أهاجيه مقطوعات صغيرة لا تزيد غالباً عن خمسة أبيات، وقد لا تتجاوز البيتين، ويضاف إلى ذلك قلة المعاني التي تحويها.

وثانيهما: صراحة هجائه فهو يدعو من يهجوه حماراً تارة، وكلباً تارة أخرى.

ويعلل حسين الحاج عدم إتقان البحتري للهجاء بأنه فنان ذواقة وكما هو معلوم أنه ليس من طبع الفنان كره الناس وسخطهم[2].

وقال يهجو طماساً ومسعوداً غِلامه وكانا "أعوران" "أعورين"، وكان قد وجه مسعوداً إلى طماس في حاجة فعاد ولم يقضها فقال من الكامل[3]:

بالأعوَرَيْنِ المعُورَيْن أقلَّ بي ... أَمَلِي وعَاوَدَني تَمكُّنَ يَاسِي

وَمنَ الضَّلالَةِ أنْ رَجَوْتُ لحاجَتي ... إخْلاصَ مَسْعُودٍ وَرفد طماسِ

لا يَبْرَحُ المَضَّاضُ كُحْلَ صَحيفَتَي ... رِجسِينِ مَرْزولَين في الأَرْجاسِ

وَإذا عَدَدْتُ عَلى "طُمَاسٍ" عَيْنَه ... لمْ أَرْضِ أَلْفَاظي، وَلا أَنْفَاسِي

أدْنو، وَأَقْصِرُ عَنْ مَداهُ وَإنّما ... أرمْي مِنَ المَلعونِ في بُرْجَاسِ

---

[1] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، ص: ٢٤٩.

[2] أعلام في الشعر العربي، حسين الحاج، ص: ٢٢٥.

[3] ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، مج٢، ص: ٤٣٥. المعور: قبيح السيرة. المضاض: المحرق، المؤلم. الصحيحان: العين السليمة في كل من الرجلين. البرجاس: غرض في الهواء يرمى به.

وربما كان سبب قلة هجاء البحتري عدم تفوقه فيه هو خوفه من أن يبقى هجاؤه لأسرته بعد وفاته. ويحدثنا في ذلك بقوله من بحر الطويل:

وأَجْبَنُ عن تَعْرِيضِ عِرْضِي لِجَاهِلٍ وإنْ كُنْتُ في الإِقْدَام أَطْعَنُ في الصَّفِّ
وإني لَئِيمٌ إنْ تَرَكْتُ لأُسْرَتِي أَوَابِدَ تَبْقَى في القَرَاطِيس والصُّحْفِ

ومهما قلنا في مذهبه الهجائي فهو ولاشك ضئيل في ديوانه. ولا يمنع ذلك أن يكون الشاعر قد استعمل الهجاء لبعض مآربه من مقارعة شاعر أو الانتقام من كبير، ولكن هذا الضرب من الشعر لم يشتهر به، والذي وصل إلينا منه لا يدل على علو كعب الشاعر فيه[1].

يتضح لنا من خلال هذا الغرض من أغراض شعر البحتري وهو "الهجاء" قليل عنده أو لم يظهره خوفاً من أن يصب عار لأسرته وأن يتوارثه الناس فتصبح عندهم العداوة لذلك نجده قليل جداً وفي هذا الغرض ينطبق قوله حين وصف نفسه عندما سُئل عن أستاذه أبي تمام فقال: "إن جيد أبي تمام خيرٌ من جيدي ووسطي ورديئي خيرٌ من وسط أبي تمام ورديئه".

ولكن يقول شوقي ضيف: "إن رواية حرق الهجاء كما قال ابنه أب الغوث لم تعجب أبا الفرج الأصفهاني فقد عاد يؤكد أن أكثر هجائه ساقط عن الألفاظ ركيك لا يشاكل طبعه ولا يليق بمذهبه"[2].

أما **العتاب**؛ فقد طرق البحتري باب العتاب أيضاً في سبيل التكسب، لينبه ممدوحيه إلى تباطئهم في العطاء، أو تقصيرهم فيه.

وقال يعاتب الحارثي الشاعر في قصيدته "بادئُ الظُّلم أظْلَمُ"، من الطويل:

أخَا "عُلّة" سارَ الإخاءُ، فأوْضَعا وَأَوْشَكَ باقي الودّ أنْ يَتَقَطّعَا
بَدأتَ وبادي الظّلمِ أظْلَمُ، فانتَحى بكَ القَوْلَ شأواً رُدّ منكَ فأسرَعَا

---

[1] أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، ص: ٢٤٩.

[2] العصر العباسي الثاني، شوقي ضيف، ص: ٢٩٣.

مَلَكْتَ عِنانَ الهَجرِ أنْ يَبلَــغَ المــدى ونَهَنَهْتَ قَوْلَ الشعرِ أن يَتَســرّعَا
فإنْ تَدْعُني للشّرِّ أَسْرِعْ، وَإن تَهِــبْ بصُلحي، فقد أبقَيتُ للصّلحِ مَوْضِعَا

وقد أبدى في ذلك العتاب من الحذق والمهــارة الشــيء الكثيــر، وأخرجــه مخرج السياسة التي قرن فيها الدقة واللطــف إلــى المؤاخــذة، والنعومــة وخفــة الروح إلى التأنيب والتهديــد؛ وســكب عليــه مــن الحــلاوة، وســهولة المأخــذ الشيء الكثير، حتى كان من أبرع الشعر العربي في هذا الباب[1].

ولقد برع البحتري في العتاب، وأحســن فــي اللــوم والاسترضــاء حتــى قال صاحب العمدة: "وأحسن الناس طريقاً في عتــاب الأشــراف شــيخ الصــناعة وسيد الجماعة أبو عبادة البحتري".

ويمتاز عتابه في نعومته، وتلطفه، فإنه يؤنــب قلــيلاً ويسترضــي كثيــراً، ويلوم ولا يهدد. وإذا هدد لا يغلظ ولا يتبغض[2].

ومن قصائده في العتاب قصيدة يخاطب بهــا أبــا عبــد الله بــن حمــدون ويعاتبه على محاولته أن يثير كراهة الخليفة له قائلاً[3]:

هَلِ ابْنُ حَمْدُونَ مَرْدُودٌ إلــى كَــرَمٍ عَهِدْتُهُ مَرَّةً عِنْــدَ ابْــنِ حَمْــدُونِ
أخٌ شَكَرْتُ لَهُ نُعْمــي أَخِــي ثِقْــةٍ زَكَتْ لَدَيَّ وَمَنَّــا غَيْــرَ مَمْنُــونِ
طَافَ الوُشَاةُ بــهِ بَعْــدِي وغَيَّــرَهُ مَعَاشِرٌ كُلُّهُــمْ بالسُّــوءِ يَعْنِينــي
أَصْبَحْتُ أَرْفَعُهُ حَمْــداً ويَخْفِضُــنِي ذَمّاً وأَمْدَحُــهُ طَــوْراً ويَهْجُــونِي
تدْعُو اللُئَامَ إلى شَتْمِي وَمَنْقَصَــتِي بِئْسَ الحِبَاءُ عَلَى مَدْيحكَ تَحْبُونِي!
أَيْنَ الوِدَادُ الَّذِي قد كُنْــتَ تَمْنَحنُــي أَيْنَ الصفَاءُ الذِي قد كُنْتَ تُصْفِينِي؟
إنْ كانَ ذَنْبٌ فأَهْلُ الصَّــفْحِ أَنْــتَ، وإنْ لَمْ آتِ ذَنْباً فَفِيم اللَّوْمُ يَعْرُونِي

---

[1] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١٥.

[2] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢٢٩.

[3] أمراء في الشعر العباسي، أنيس المقدسي، ص: ٢٤٧.

الحكم: أما الحكم فلم يأت فيها البحتري ببدع ذي بال، ولم يكلف نفسه معالجة الفلسفة والاعتبار الطويل لاستخراج العميق منها، بل اجتزأ بالمعاني الشائعة، القريبة المنال، وليدة الاختيار البسيط. وآتي منها خصوصاً طالما ردده الأقدمون من شكوى الزمان وصروفه.

إلا أن البحتري في الحكم من المعاني، ما يتراجع فيه، على بساطته نغمته إنسانية عميقة[1].

يقول بطرس البستاني: "له بضاعة قليلة في الحكم لأنها ليست من طلباته، فهو يرى أن الشعر لم يخلق للمنطق وفي ذلك يرد على بعض لائميه:

كَلَّفْتُمُونا حُدودَ مَنْطِقِكمْ ... في الشِّعْرِ يُلْغَى عن صِدْقِهِ كَذِبُهْ
ولم يَكُنْ "ذُو القُروحِ" يَلْهَجُ ... بالمَنْطِقِ ما نوعُهُ وما سِبَبَهْ؟
والشِّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إشارَتُهُ ... وليس بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ

ونشأته البدوية هي التي جعلته لا يأنس بالأدلة العقلية والتفكير المنطقي، ولا يرى خيراً في الشعر إلا إذا انطلق من هذه الأغلال محمولاً على أجنحة الخيال الحر الفسيح، فجاءت حكمه على قلتها ساذجة مشتركة التفكير، تدور معانيها على ألسنة الناس، وأكثرها في شكوى الزمان[2].

هذه جملة من أبواب الشعر المعهودة، التي طرقها البحتري عرضاً، من غير أن يقصدها في ذاتها، كغرض مستقل لشعره، لأن هناك غرضاً رئيسياً قد استأثر باهتمامه وشاعريته، هو التكسب؛ وباباً آخر قد برهن فيه عن مقدرة فريدة هو الوصف[3].

---

[1] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥١٢.

[2] أدباء الشعر العربي في العصر العباسي، بطرس البستاني، ص: ٢٢٩ – ٢٣٠.

[3] المرجع السابق، ص: ٥١٢.

المبحث الثالث
مكانته الشعرية

نُسب إلى أبي العلاء المعري أنه قال: "أبو تمام والمتنبي حكيمان وإنما الشاعر البحتري". ومنهم من يضيف هذا القول إلى المتنبي نفسه فيزعم أنه قال: "أنا وأبو تمام حكيمان وإنما الشاعر البحتري"، وكلا الأمرين مشكوك فيه لأنه مخالف لعقيدة أبي العلاء في شاعرية أبي الطيب وقد كان يسميه وحده الشاعر ويسمى غيره من الشعراء باسمه[١].

قال الصولي: "ولا أعرف أحداً بعد أبي تمام أشعر من البحتري ولا أخفض كلاماً ولا أحسن ديباجة ولا أتم طبعاً وهو مستوي الشعر حلو الألفاظ مقبول الكلام يقع على تقديمه الإجماع"[٢].

وقال الأصفهاني عنه: "شاعرٌ فاضلٌ فصيحٌ، حسن المذهب، نقي الكلام، مطبوع، كان مشايخنا رحمة الله عليهم يختمون به الشعراء"[٣].

وقال الآمدي عنه: "كان – على فضله، ونصاعة بيانه، ورقة كلامه وبديع أسلوبه، وجزيل شعره – من أبخل خلق الله"[٤].

وقال أيضاً: "ووجدت أكثر أصحاب أبي تمام لا يدفعون البحتري عن حلو اللفظ وجودة الرصف وحسن الديباجة وكثرة الماء وإنه أقرب مأخذاً وأسلم طريقاً من أبي تمام"[٥].

وذكر أبو هلال العسكري راوياً عن الصولي: "سمعت عبد الله بن المعتز يقول لو لم يكن للبحتري إلا قصيدته السينية في وصف البركة..

---

[١] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢٣٣.

[٢] أخبار البحتري، الصولي، ص: ١٤٨.

[٣] الأغاني، الأصفهاني، ج٢٤، ص: ٨٢٠٠.

[٤] الموازنة، الصولي، ص: ٧.

[٥] المرجع السابق، ص: ٤٠٠.

واعتذاراته في قصائده إلى الفتح التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة إلى النعمان مثلها، وقصيدته في دينار بن عبد الله التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبله.. ووصف حرب المراكب في البحر؛ لكان أشعر الناس في زمانه، فكيف إذا أضيف إلى هذا صفاء مدحه ورقة تشبيهه"[١]. وروى المبرد عنه: "ما رأيت أشعر من هذا الرجل"[٢].

وروى أن أبا تمام قال للبحتري وقد سمع بعض شعره: "أحسنت أنت يا أمير الشعراء بعدي"[٣].

وسئل أبو العلاء المعري أي الثلاثة أشعر؟ أبو تمام أم البحتري أم المتنبي؟ فأجاب المتنبي وأبو تمام حكيمان والشاعر البحتري"[٤].

ومما سبق تتضح منزلة البحتري وشاعريته الفذة ونفسه المرهفة، وخياله الخصب وذوقه السليم ومعانيه البديعة وأسلوبه السلس، فالمطلع على ديوان البحتري يقف على ملكته الشاعرية الفذة، التي قوامها لسانه الخصيب وذهنه الحصيف وخياله البديع الذي تغذى من البادية والحاضرة في آن معاً، فالبادية أكسبته صفاء الخيال وسلاسة الأسلوب وأكسبته الحاضرة الصور واللوحات المتناسقة، وتنوع الأصباغ والمعاني البديعة.

والحقيقة أن البحتري ترسم خطو أبي تمام في الشعر والبديع متجنباً التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام يقول الآمدي: "لأن البحتري أعرابي الشعر، مطبوع على مذهب الأوائل، وما فارق عمود الشعر المعروف، وكان يتجنب التعقيد ومستكره الألفاظ ووحشي الكلام"[٥].

---

[١] ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، ج٢، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٩١١م، ص: ٦٣.

[٢] الموازنة، الآمدي، ص: ٢١.

[٣] المرجع السابق، ص: ٧.

[٤] السابق نفس الصفحة.

[٥] الموازنة، اللآمدي، ص: ١١.

والمطلع على ديوان البحتري يجده قد طرق كل فنون الشعر، وأجاد فيها وأظهر مقدرة فائقة في فن المدح وقدرة في تصوير أخلاق الممدوح، كما نبغ في فن الوصف وأجاد فيه أيما إجادة، ويقول البحتري[1]:

أستُ لأخوَالي ربيعة إذ عفت مصايفها منها وأقوت ربوعها
بكرهي أن باتت خلاءً ديارها ووحشاً مغانيها وشتى جمعها
وأمست تساقي الموت من بعدما غدت شروباً تساقي الراح رفها شُروعها

والمطلع على ديوان البحتري يقع على عدد من القصائد الوصفية التي أجاد فيها البحتري أيّما إجادة، وقد اتفقت للبحتري عوامل كثيرة أهلته لإجادة الوصف والتصوير، فقد تأثر بالبادية ومشاهد الحضارة بجديدها وعمرانها الأنيق، ومشاهدها الأخاذة، ومباهجها الفاتنة، فأكسبته حسَّاً حضارياً وشعوراً دافقاً يضاف إلى ذلك كله شعوره العميق بالجمال، وامتلاكه أذن موسيقية مرهفة ولعل أوضح الصفات التي أعانته في إجادة الوصف والتصوير الدقيقة قوة المخيلة وروعة التصوير، ويقول البستاني[2]: أن البحتري قد أوتي من قوة المخيلة وروعة التصوير ما جعله يتناول الأشياء المادية فيلمحها بشعره لمحاً فيخرج لها صوراً دقيقة بارعة الفن.

قال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويتعزى به:

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس
وتماسكت حين زعزني الدهـ ـر التماساً منه لتعسي ونكسي
بلغ من صبابة العيش عندي طففتها الأيام تطفيف بخس
وبعيد ما بين وارد رفه علل شَربه ووارد خمس
وكان الزمان أصبح محمو لاً هواه مع الأخس الأخس

---

[1] ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، ص: ٤٧١. الرفه: من رفهت الإبل، وردت الماء كل اليوم. شروعها: شربها.

[2] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢٢٤.

واشترائي العـراق خطـة غـبن بعيد هذي البلـوى فتكـر مسـي

يصف الطبيعة والعمران بقوله:

أَلَستَ تَـرىَ مَـدّ الفُـراتِ كأنّـهُ جبالُ شزْوري جِئتَ في البَحر عُوَّمَا
وَلَمْ يَكُ مِـنْ عاداتِـهِ غَيـرَ أنَّـهُ رَأى شِـيمَةً مـن جَـارِهِ فَتَعلَّمـا
أَتَاكَ الرّبيعُ المطّلقُ يَخْتالُ ضَـاحِكاً من الحُسنِ حتَّـى كـادَ أنْ يتكَلَّمَـا
وَقَد نَبّه النَوْرُوزُ في غَلَسِ الـدُّجَى أوائِـلَ وَرْدٍ كُـنّ بـالأمْسِ نُوَّمَـا

وسئل البحتري أيكما أشعر أنت أم أبـو تمـام؟ فقـال: "جيـده خيـر مـن جيدي، ورديئي خير من رديئه". قال الصولي صدق. جيـد أبـي تمـام لا يتعلـق به أحد من أهل زمانه.

ويروى أنه اجتمع في دار عبد الله بن الحسـين القطربلـي وكـان معهمـا المبرد وجماعة من الفضلاء فسأله المبرّد وكان ذلك سـنة ٢٧٦هـ وقـد أنشـد شعراً أنت في هذا أفضل من أبي تمـام فقـال كـلا والله ذاك الأسـتاذ الـرئيس والله ما أكلت الخبز إلا به، فقال المبرد: تأبي شرفاً من جميع جوانبك.

وقيل أن من فضائله في الشعر سبقه إلى التعزيه عن النبات[١].

وترى طائفة من أهل الأدب أنه لم يأت بعد أبي نـواس مـن هـو أشـعر من البحتري، ولا بعد البحتري من هو أطبع منه على الشعر.

وذكر الآمدي أن أبا عبادة قـد أسـقط فـي أيامـه أكثـر مـن خمسـمائة شاعراً وذهب بخبرهم، وانفرد يأخذ جوائز الخلفاء دونهم[٢].

فشعر البحتري بما فيـه مـن ديباجـة رائعـة، وخيـال جميـل، وغـزل لطيف، يجعلنا نشك في ما يزعمه بعض الرواة مـن أنـه كـان وسـخاً بغيضـاً،

---

[١] الأدب في عصر العباسيين، أ. د. محمد زغلول سلام، ص: ٤٨١.

[٢] أدباء العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ص: ٢٣٤.

فأناقة عباراته لا تدل على قذارة آلته، ورقة ألفاظه ولطف معانيه لا يلائم غلاظة طباعه.

وما أدراك أن أولئك الذين شنَّوا عليه كان من خصومه، فأرادوا إسقاطه ليفضلوا صاحبهم أبا تمام، وآخرون من الرواة لا يصفونه بمثل هذه الأوصاف بل ينعتونه بحسن الخلال. ومهما يكن الأمر فشعر البحتري يجعل صاحبه محبباً إلى النفوس، ولا يرسم لنا تلك الصور الممقوتة التي يرينا إياها بعض الرواة.

والخلاصة أن البحتري يتحلى بجمال الديباجة، وبراعة الوصف والتصوير ولاسيما وصف الطبيعة ومظاهر العمران، يسمو به خيال لطيف، يسبح في سماء صاخبة الأديم، معطرة الأرجاء غليلة النسيم. وهو زعيم الطريقة الشامية، وفي طليعة من قال مدحاً في خلافة العباسيين. ومنزلته في الطبقة الأولى بين الشعراء المولدين[1]. كما قال له أبو تمام مادحاً بيت أوس بن حجر:

إذا مغرم منا ذرا حد نابه تمخط فينا ناب آخر مقرم

[1] المرجع السابق، ص: ٢٣٥.

الفصل الثالث

الدراسة الفنية

المبحث الأول: بناء القصيدة.

المبحث الثاني: اللغة والأسلوب.

المبحث الثالث: الأوزان والموسيقى.

المبحث الرابع: الصور والأخيلة.

المبحث الأول
بناء القصيدة

وقد درج البحتري على بناء جل قصائده على أربع مقاصد هي:

١/ المطلع:

وكانت له عناية كبيرة عند القدماء؛ لأنهم كانوا يعدون الشعر قفلاً أوله مفتاحه وأنه أحسن شيء في صناعة الشعر لأنه أول ما يقع في السمع من القصيدة والدال على ما بعده لذا لابد من أن يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع من تعجب أو تهويل أو تشويق.

ونجد البحتري قد أصاب القاعدة البلاغية (مطابقة الكلام لمقتضى الحال) حيث إن المقطع يكون متمشياً مع موضوع القصيدة إلى حدٍ ما وهذا ما ينطبق على قصائد المدح والتهاني كما أنه راعى في ابتداءاته اتخاذ القصيدة الجاهلية مثالاً وأنموذجاً، والنقاد كانوا يستحدثون مطالع المحدثين إذا وافقت مطالع القدامى أو جاءت على شاكلتها.

بناء القصيدة عند البحتري يبدأ بمطلعه التقليدي في النسيب أو الغزل، وفي النسيب قد يذكر الديار والنزوح، والفراق، ويذكر الشيب والشباب المولى، يقول مثلاً:

هَبِ الدَّارَ رَدَّتْ رَجْعَ ما أَنْتَ قَائلُهُ ... وأَبْدَى الجَوَابَ الرَّبْعُ عمَّا تُسَائلُهْ
أفِي ذَاك بُرْءٌ من جَوَى أَلْهَبَ الحَشَا ... تَوَقّدُهَ واسْتَغْزَرَ الدَّمْعَ جائلُهْ
هو الدَّمْعُ مَوْقُوفاً عَلَى كلُّ دِمْنَةٍ ... تُعَرِّجُ فيها أو خَلِيطٍ تُزَايلُهْ

وهو مفتن في تنويع هذا المطلع، يعرضه في صور متعددة، كأن يقول مثلاً:

عَهْدِي بِرَبْعِكَ مَأْنُوساً مَلاَعِبُهُ ... أَشْبَاهُ آرامِهِ حُسْناً كَوَاعِبُهُ
يَشُبْنَ للصَّبِّ في صَفْوِ الهَوَى كَدراً ... إنْ وَخْطُ شَيْبِ أُعِيرَتْهُ ذَوَائبُهُ

يقول:

لدَارِكِ يا "لَيْلَــى" ســماءٌ تَجُودُهَــا وأَنفاس ريحٍ كُــلَّ يــوْم تَعودُهــا
وإن خَفَّ مِنْ تلك الرَّسُومِ أَنِيسُــها وأَخْلَقَ مِنَ بَعْدِ الأَنــيس جَديــدُها
مَنازِلُ لا الأَيْامُ تعدِى علــى البِلَــى رُباها ولا أَوْبُ الخَلِــيطُ يَقِيــدُها
وعَهْدى بها مِنْ قَبْلِ أَنْ يَحْكُم النَّوى على عَيْنِهــا أَلاَّ تــدومَ عُهودُهــا

وإلى جانب عرض البحتري للمعاني التقليدية فــي النســيب والغــزل مــن ذكر للديار، والدعاء لها بالسقيا وذكر معتادهــا مــن الــوحش العــين والظبــاء، وذكــر الرحيــل والفــراق وآلامــه، والــذكرى، واســتعذابها واســتعادة الأيــام الخوالي. إلى جانب هذا كله نجد البحتــري يهــتم بالخيــال، أو طيــف محبوبتــه، فيسترجع به تلك الذكرى الماضية، ولعل هذا الجديــد الــذي أدخلــه علــى هــذا المطلع، يقول:

أَرْجِّمُ في "لَيْلَى" الظُّنُونَ وأَرْتَجِــى أَواخِــرَ حُــبٍّ أَخْلَفَتْنــى أَوَائِلُــهْ
ولَيْلَةَ هَوَّمْنَا عَلَى العِــيس أَرْسَــلَتْ بِطَيْفِ خَيَالٍ يُشْبِهُ الحَــقَّ باطِلُــهْ
فَلَوْلاَ بَيَاضُ الصُّبْحِ طَــالَ تَشَــبُّثِي بِعِطْفَيْ غَزَالٍ بتٌّ وَهْنَــا أُغازِلُــهْ
وكَمْ مِنْ يَدٍ لِلَّيْــلِ عِنْــدي حَمِيــدةٍ وللصُّبْحُ مِنْ خَطْبٍ تُــذَمُّ غَوَائِلُــهْ

٢/ مقدمة القصيدة:

تركز اهتمام البحتري بالمقدمات الغزليــة والطلليــة نســبة لكثرتهــا فــي الشعر حيث كانت لــه مقــدمات رائعــة فــي الغــزل والطيــف، ويقــول ابــن رشيق[١]: ومن أسباب المقدمة في القصيدة إن ذكر الأطــلال يــأتي لــذكر أهلهــا الظاعنين والغزل يأتي لاستمالة القلوب واستدعاء إصغاء الأسماع.

[١] العمدة لابن رشيق، ج١، ص: ٢٢٥.

وقد تفرد البحتري بمقدمات غزلية وطيفية ولا تكاد تخلو قصيدة من قصائد المدح من هذه المقدمات الجميلة، وقد يبدأ مباشرة بذكر الطيف فيقول[1]:

قد كانَ طَيْفُك مَـرَّةً يُغْـرَى بِـي يَعْتادُ رَكْبِـي طارِقـاً ورِكَـابي
فـالآنَ مـا يَـزْدَارُ غيـرَ مَغَبَّـةٍ ومن الصَّـدودِ زِيـارة الإِغبـابِ

ثم يبدأ بعدها بذكر الديار فيقول:

جئْنَا نُحيِّـي مـن "أُثَيْلَـةَ" مَنـزلاً جُدُداً معالِمُـهَ بِـذي الأَنصـابِ
أَدَّى إِلـيَّ العَهْـدَ مـن عِرْفَانِـهِ حتى لكادَ يَـرُدُّ رَجْـعَ جَـوَابي

وقد يبدأ بداية تقليدية دون تجديد، كأن يقول:

أَرُسُـومُ دارِ أَمْ سُـطورُ كتـابِ دَرَسَتْ بَشاشَـتِها مـع الأَحقـابِ

على أن للبحتري صوراً عذبة الوقع رفيقة الخطوط على تقليديته يقول:

تَرْنـو فتَقلِـبُ القلـوبُ لِحَظْهِـا مَرْضَى السُّلوِّ صَحائحَ الأَوصـابِ
رَفَعَتْ من السِّجْفِ، المُنِيفِ وسَلَّمَتْ بأَنَامـلِ فـيهنَّ دَرْسُ خِضَـابِ
وتَعَجَّبَتْ مـن لَـوْعَتي فتبسَّـمَتَ عن واضحاتٍ لو لُـثِمْنَ عِـذَابِ

٣/ التخلص:

المقصود به الخروج من جزء من أجـزاء القصـيدة إلـى آخـر بحيـث يشعرك هذا الخروج بتلاحم الأجـزاء وتماسـكها لا بوجـود حـواجز واضـحة بينهما، ومن هنا جاءت العناية بالتخلص من المقـدمات إلـى الغـرض الرئيسـي اشترط الدقة فيه إلى غرضه.

ويرى الكثير من النقاد أن البحتري أخفق فـي الـتخلص[2]، ويقـول ابـن الأثير[3] عن البحتري: فإن مكانه مـن الشـعر لا يجهـل وشـعره هـو السـهل

---

[1] الأدب في عصر العباسيين، محمد زغلول سلام، ص: ٤٨٦.

[2] المرجع السابق، نفس الصفحة.

[3] المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، ص: ٢٤٩.

الممتنع الذي تراه كالشمس قريباً ضوءها بعيداً مكانها، وكل القناة لين مسها وخشناً سنانها وهو على الحقيقة قينة الشعراء في الإطراب وعنقاؤهم في الإغراب ومع هذا لم يوفق في التخلص من الغزل إلى المديح[١].

وأورد الآمدي عدداً من الأبيات التي أجاد البحتري فيها حسن التخلص والانتقال إلى الغرض المقصود من ذلك قوله يمدح الفتح بن خاقان:

رِبَاعٌ تَـرَدَّتْ بالرِّياضِ مَجُودةً بكل جديدِ الماءِ عَذْبِ المَوارِدِ
إذا راوَحَتْها مُزْنَةٌ بَكَرَتْ لها شَآبيبُ مُجْتازٍ عليها وقاصدِ
كأَنَّ يدَ "الفتحِ بن خاقانَ" أَقبلَتْ تلِيها بتلِكْ البَارِقَاتِ الرُّواعِدِ[٢]

٤/ الخاتمة (المقطع):

المقطع هو قاعدة القصيدة وآخر ما يبقى منها في الأسماع وسبيله أن يكون محكماً وإذا كان أول الشعر مفتاحاً له وجب أن يكون الآخر قفلاً له[٣]، لذا اشترط الأدباء النقاد أن يكون المقطع على أحد الأوجه التالية:

١/ أن يكون الاختتام في كل غرض بما يناسبه ساراً في المديح والتهاني وحزيناً في الرثاء والتعازي[٤].

٢/ أن يكون اللفظ مستعذباً، والتأليف جزلاً مناسباً.

٣/ أن يكون أجود بيت في القصيدة، وأدخل في المعنى الذي قصد له الشاعر في نظمها.

---

[١] الأدب في عصر العباسيين، محمد زغلول سلام، ص: ٤٨٦.
[٢] الديون، الصيرفي، ج١، ص: ٦٢٤.
[٣] العمدة، لابن رشيق، ج١، ص: ٢٣٩.
[٤] المرجع السابق، ص: ٢٣٩.

وفي الخاتمة البحتري يعيد مطلع القصيدة بعد الفراغ منها وهذا يدل على طرب واندفاع في الإنشاد، وهذه هي العادة التي انفرد وامتاز بها البحتري وهي رد البيت الأول من القصيدة.

صنت نفسي عما يدنس نفسي وترفعت عن جدا كل جبس
وتماسكت حين زعزني الدهـ ـر التماساً منه لتعسي ونكسي

إلى وصل نهائية القصيدة قائلاً:

وَأعَانُوا على كَتائِب أرْيَـ ـطَ بطَعنٍ على النّحورِ وَدَعْسِ
وَأزاني من بَعدُ أكْلَفُ بالأشْـ ـرَافِ طُرّاً منْ كلَّ سِنْخٍ وإسّ

المبحث الثاني
اللغة والأسلوب

البحتري سلسل اللغة والألفاظ، ويحسن الملاءمة بين الألفاظ والمعاني، فهو يتخير الألفاظ ذات المخارج المتقاربة، كما نجد في ألفاظه حسناً ومزية على غيرها ومن أجل ذلك قيل عنها كما ذكرناه: "كأنهن نساء حسان عليهن غلائل مصبغات، وقد تحلين بأصناف الحلي"[١].

يتضح من ذلك أن البحتري يتجنب الكلمات المتوعدة والوحشية، والساقطة العامية، ويجري لفظه على الصرف الصحيح إلا فيما ندر، فالبحتري يحقق سلامة اللفظ وفصاحته، ويضيف من بعد فضائل أخرى، منها العناية الدقيقة بانتقاء الألفاظ، والملاءمة بينهما وبين المعاني، فهي جزلة متينة حيث يصف الأعداء وهي كذلك في فخره وبعض أحاجيه[٢].

فالألفاظ في الثغريات التي أمتدح بها بلاء قواد الثغور، تختلف عن الألفاظ في غزلياته وأوصافه المشرقة وعتاب الرقيق[٣]. فهو يقول في قصيدة يمدح بها محمد الثغري:

مَع اللَّيْثِ وابْنَ اللَّيْثِ أُضْحِي مُغَاوِراً حمَاةَ الضَّوَاحِي ثُمْ أُمسْي مُقَاتِلاً
كأَصْحَابِ ذِي القَرْنَيْنِ حَيْنَ تَبوَّأوا وَرَاءَ مَغِيبِ الشَّمْسِ "تَلْكَ المَنَازِلاَ"
وَمَنْ يَتَقَلْقَلْ في سَرَايَا ابْنِ يُوسُفِ يَرَ الحَقَّ في قُرْبِ الأَحِبَّةِ باطِلاً[٤]

ففي هذه الأبيات نحس بأن جزالة الألفاظ وفخامتها، جعلت القصيدة تبدو فخمة ومتينة في بنائها، وهي ملامة للمعاني، ومناسبة للمقام، ومن هذه الألفاظ "الليث، مغاورا، مقاتلا، يتقلقل"[٥].

---

[١] المثل السائر، ابن الأثير الجزري، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص: ٢٥٥.
[٢] الشعراء المحدثون، العربي حسن درويش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ص: ١٧٥.
[٣] المرجع السابق، ص: ١٧٦.
[٤] الديوان، ج١، ص: ١٦٠٠. المغاور: المغير، وهو من أغار على القوم.
[٥] الشعراء المحدثون، العربي حسن درويش، ص: ١٧٦.

المبحث الثالث

الموسيقى والأوزان

موسيقى الشعر هي أوزانه وقوافيه وإيقاعاته، فالوزن والقافية من أهم أركان الشعر وأكثرها خصوصية، أما الإيقاع فهو إحداث إحساس مستحب بالإفادة من جرس الألفاظ ووصف البحتري منذ القدم بأنه أراد أن يشعر فغني، وهذا يفسر لنا قول محقق الديوان: "ولو تأخر به الزمن لكان له في لونين من الفنون الحديثة فكان أي مكان، وأعني بهذين اللونين الموسيقي والتصوير"[١].

وهذا القول يتجه بشكل مباشر إلى توكيل امتياز صنعته بشيوع الموسيقى، على أن حديثهم عن ديباجته المشرقة، وطلاوة نظمه واتساقه، وحسن تصرفه فيه، وسلامة لفظه، يؤكد بشكل غير مباشر – أهمية الجانب الموسيقي في شعره[٢].

يقول حنا الفاخوري: وقد زاد في صناعة البحتري حرصه على أن يغمرها أبداً بموسيقى لا يعكر أنغامها أي نشوز، موسيقى هي ثمرة ما يمتاز به شعره من سلاسة الألفاظ وحلاوتها وائتلافها، وسلامة التراكيب وإبداع رصفها، والملاءمة المحكمة بين المعاني والتعابير.

فألفاظ البحتري منتقية بعناية ومهارة، يسيرة على الإجمال، بعيدة عن الإغراض، لينة؛ وقد تشتدّ أحياناً ويغمض معناها، إلا أنها لا تقو، ولا تخشن، ولا يثقل وقعها، بل تجمع الشدة إلى سهولة اللفظ، والجزالة إلى الفصاحة "تملأ الفم وتقرع الأذن" على حد ما قال في وصفها طه حسين، ولكنها تملأ الفم دون أن يضيق بها الفم، وتقرع السمع دون أن تؤذيه"[٣].

---

[١] الديوان، ج١، ص: ١٤.

[٢] شعر البحتري – دراسة فنية، خليفة الوقيان، المؤسسة العربية، ١٩٨٥م، ص: ٢٤٦.

[٣] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥٢٠ – ٥٢١.

وأما تراكيبه فبريئة من كل تنافر بين الألفاظ المتتابعة، بريئة من كل تعقيد، فلا تقديم ولا تأخير، ولا اضطراب من أي نوع كان. ففي جمل البحتري من العناية مثلما في ألفاظه، وهي تترقرق أحياناً في اطراد وانسجام في الأجزاء، آخذة بعضها ببعض في غير التواء، يمتد معها الصوت مرتاحاً في مدى البيت، لا يعرقلها منطق مشتبك، ولا تفكير عميق، وهي أحياناً أخرى مقسمة أقساماً صغيرة، كأنها أنغام مقطعة تتساقط متتالية، في رخاء تارة:

أَغْتَدِي راضِياً وقد بِتُّ غَضَبا نَ، وأُمْسِي مَوْلَىً، وأُصْبِحُ عَبْدَا[1]

وفي تدفق من الحيوية النابضة تارة أخرى:

عَوَى ثُمَّ أَقْعَى[2]، وارْتَجزتْ فَهِجْتُهَ فأَقْبَلَ مِثْلَ البَرْقِ يَتْبَعُهُ الرَّعْد

وهنا ينبغي أن نلاحظ أن البحتري يملك سراً فريداً في استعمال الأفعال بحيث يؤلف منها أجمل وقع وأعمق إنجاء.

وقد عنى البحتري كذلك عناية خاصة بالموسيقى الملائمة وبين اللفظ والمعنى من جهة، بحيث يجعل اللفظ صورة ناطقة للمعنى:

يقضَّقِضُ عُصلا في أَسِرَّتِها الرَّدَى كقَضْقَضَةِ المقْرُورِ أَرعدَه الْبَرْدُ[3]

كما عنى بالملائمة بين المعنى والأوزان الشعرية والقافية من جهة أخرى؛ فأكثر من اختيار الرويَّ الذي يبين في مواقف الرقة، ويشتد في مواقف القوة؛ فهو في وصف الذئب مثلاً يميل الدال المشددة وإلى قواف من المثال (الجدُّ، ومنأدُّ) تنطق بالقوة:

له ذنب مثْلَ الرشَاء يَجُرُه ومَتْنٍ كمتنِ القوس أعوج ومنأدُّ

---

[1] الديوان، بدر الدين الحاضري، ص: ٥٤.

[2] أقعى: جلس على مؤخرة، ارتجزت: رفعت صوتي أو قلت رجزاً (ومن عادة البدو عند مباشرة الحرب إنشاد الرجز للتحمس).

[3] الرعو: إشارة لصوت الذئب، يقضقض عصلا: يصوت بأسنان صلبه معوجاً. الأسرة: جمع سرار الخطوط، المقرور: من أصابه القر، أي البرد.

فَمْـــا إِزْدَادَ إلاَّ جَـــرْأةً وصَـــرَامَةً وأَيْقَنَتُ أَنَّ الأمرَ مِنْهُ هـــو الجَـــدُّ

أما في وصف البركة، فقد لجأ إلـــى المـــد المختـــوم "بهـــا" فـــإذا بقوافيـــه تمتد على حلاوة وعذوبة:

يَا مَنْ رأَىَ البِركَةَ الحَسْنَاءُ رويتها والإنســـان إذ لاحـــت مغانيهـــا

وعلى العموم فقد كانـــت أوزان البحتـــري الشـــعرية بالغـــة فـــي جمـــال النغمة الموسيقية، على ما يعترضها أحياناً من بعض الخلـــل يـــنجم عـــن مجـــاراة الشاعر للأقدمين في استعمال "مفاعلن" عوضاً عـــن "مفـــاعلين" وأيضـــاً "فعـــول" عوضاً عن "فعولن" في حشو البحر الطويل[1]، مثال:

أَتَاك الرَّبيعُ الطَّلْقُ يَخْتالُ ضَـــاحِكاً مِنَ الْحُسْنِ حَتَّـــى كَـــادَ أَنْ يَتَكَلَّمَـــا

اتاك رربيع طططق يختا لضَـــاحكن مـــــنلحس ن حتتكـــــاد انيتكللمـــــا

o—o--/o-o--/o-o-o--/o-o-- --o--/o-o--/o-o-o--/o-o--

فعولن/ مفاعيلن/ فعولن/مفاعيلن فعولن/ مفاعيلن/ فعول/مفاعيلن

وقد سعى الدارسون إلى اكتشاف سر هذه الموسيقى المميزة لديـــه، فعللوهـــا بمناسبة الأوزان والأغراض، أو باختيار البحور الخفيفة، ومنهم من أشار إلى حسن استخدامه بعض ألوان البديع، وهناك من نبه إلى أن الموسيقى هي اختيار الكلمـــات وترتيبها ثم المشاكلة بين أصوات هذه الكلمات والمعاني التي تدل عليها[2].

أما الـــدكتور عبـــد الله الطيـــب فهـــو يـــرى أن شـــعر البحتـــري تميـــز بازدواجية موسيقية قوامها الموسيقى الخارجية ممثلـــة فـــي الـــوزن إلـــى جانـــب القافية التي هي شريكة الوزن فـــي الاختصـــاص[3]. وموســـيقى داخليـــة تحـــدث انسجاماً صوتياً في بناء القصيدة وتمدها بنغمات إيقاعية مؤثرة[4].

---

[1] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥٢٢.

[2] الشعراء المحدثون، العربي حسن درويش، ص: ١٨٢.

[3] المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، مطبعة بيروت، ط٢، ج١، ١٩٧٠م، ص: ٧٠.

[4] المرجع السابق، ج١، ص: ٧٣.

والبحتري لم يتجه إلى اختيار البحور الخفيفة ومجزوءات البحور إلا بقدر يسير، وجاء شعر البحتري على جميع البحور بنسب متفاوتة.

أما إبراهيم أنيس فقد استعرض القصائد القديمة، ووجد أن بعض الشعراء يقولون الشعر في كل الأغراض على البحور الشائعة، ولا يربطون بين الموضوع والوزن. وعن توزيع نسب البحور يقول أنيس: "ولا نكاد نشعر بانتقال فجائي حين ننظر في ديوان البحتري الذي اشتمل على ما يُقرب من ١,٣٠٠ قصيدة موزعة حسب النسب الآتية: الطويل ٢١%، الكامل ٢١%، الخفيف ١٧%، البسيط ٩٥، السريع ٣%، الرمل ٢%، مجزو الكامل ١%"[١].

ولعل هذه الإحصائية تؤكد عدم لجوء البحتري إلى الإكثار من اختيار البحور الخفيفة أو مجزوءات البحور، كما أنها تعني من جهة أخرى أنه كان قادراً على إشاعة الموسيقى في البحور الطويلة بفضل براعته وتميز شاعريته[٢].

والشواهد التي تزخر بالموسيقى لديه كثيرة نذكر منها سينيته التي يقول فيها:

وتَمَاسَكْتُ حِينَ زَعْزَعَنِي الدَّهْـ ـرُ الْتِماساً مِنْهُ لِتَعْسِي ونَكْسِي[٣]

فالنغم في قوله (زعزعني) متفق مع المعنى المقصود، وقادر على أن يبين في نفوسنا الإحساس بالزعزعة وعدم الاستقرار، وقوله (تعسي)، (ونكسي) يوحي بالانكسار والخنوع ولو لم يسبقه بقوله (تماسكت) الذي يصور لنا مشهد مقاومة التصدع والانهيار.

---

[١] موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ط٥، ص: ١٩٢.

[٢] شعر البحتري، خليفة الوقيان، ص: ٣٤٨.

[٣] الديوان، ١١٥٢/٢، تماسكت: ثبت.

ولا يلبث الشاعر أن ينقلنا من هذا الجو المضطرب ويجعلنا نرتفع معه بعد أن تماسك ووقف على قدميه فيقول:

وقَدِيماً عَهِدْتَني ذَا هَنَاتَ أَبِيَاتٍ عَلَى الدَّنِيَّات شُمْسِ[1]

ففي (هنات) (وأبيات) تمتد النغمة وتطول نبراتها بما يوحي بالقوة، تنتهي إلى الاستقرار عند كلمة (شمس) ذات الصلابة والمتانة.

إن قصائد البحتري الزاخرة بالموسيقى أكثر من يسعها الإشهاد إذ إن الموسيقى من أهم مقومات صنعته، وهو يحرص على إشاعتها في شعره كله، وإن تفاوت نصيب قصائده منها، تبعاً لاختلاف الحالات النفسية التي ترافق النظم[2].

وهكذا كانت موسيقى شعر البحتري، على الإجمال، من أروع ما في الشعر العربي من موسيقى، حتى دعا بعض النقاد البحتري "قنينة الشعراء"؛ غير أن وفرة اهتمام الشاعر بالموسيقى قد تذهله أحياناً عن مضمون شعره، فلا نرى له إذ ذاك من معنى غير ما توحي به موسيقاه من طرب، ولهذا قال ابن الأثير: "أراد البحتري أن يشعر فغني". فقد يخلو شعر البحتري من كل معنى، إلا أنه لا يخلو أبداً من جمال الوصف والصناعة، وروعة الموسيقى وعذوبتها؛ ومن ثم صحت أيضاً تسمية أبي العلاء لديوان البحتري "بعث الوليد" كما صح اتخاذ النقاد أسلوب الشاعر مثالاً لما شاءوا أن يدعوه، على غير تمييز كثير، أسلوب الموجة الشامية، هو الأسلوب الذي يمتاز، في نظرهم، بصفاء الديباجة العربية والجزالة والفصاحة والعذوبة والانسجام[3].

---

[1] الديوان، ١١٥٣/٢. الهنات: خصال الشَر، ويبدو أن الشاعر استعملها عامة دون تخصيص. الشَمس: العنيدة التي لا تذل.

[2] شعر البحتري، خليفة الوقيان، ص: ٢٥٦ – ٢٥٧.

[3] تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، ص: ٥٢٢.

المبحث الرابع
الصور والأخيلة

أكثر البحتري من ذكر طيف الحبيب وشهر به، حتى ضرب به المثل بين الأدباء فأصبحوا يقولون أرق من طيف البحتري[١] وهذا ما ذهب إليه صاحب الموازنة من أن البحتري أكثر وأجاد وأبدع وتصرف في معانٍ لم يأت أحد بمثلها، وقد استفتح قصائد كثيرة بذكر الخيال لشدة شغفه به[٢].

ويرى العربي حسن درويش أن كثرة الخيال في شعر البحتري لها دلالة نفسية إذ هي تعويض عما افتقده في عالم الواقع، وهي تعبير عن القلق والحرمان اللذين يعاني منهما، ويؤيد هذا الزعم مجيء هذا الطيف في مقدمة القصيدة في أغلب الأحيان، وهذا الجزء يعبر فيه الشاعر عنه نفسه، قبل أن ينتقل إلى المديح أو غيره[٣]، وهنالك من يرى السبب في اغترابه الطويل عن حبيبته (علوة)، فهي مستقرة بحلب وهو دائم التجوال والترحال، وعلى هذا تكون زيارة الطيف في عالم الأحلام تعويضاً عن اللقاء في دنيا الواقع فتألق البحتري راجع إلى توقد عاطفته وبعد الشقة بينه وبين الحبيب، فيحل الطيف في النوع محل العيان والمشاهدة في اليقظة[٤].

إذن البحتري كان يبدأ أغلب قصائد المدح بالخيال ومن ذلك قوله في مقدمة مدحه لمحمد بن طاهر:

أَخَيَالَ "عَلْوَةَ" كَيْفَ زُرْتَ وعِنْدَنا ... أَرَقٌ يشَرِّدَ بالخَيَالِ الزَّائِرِ!
طَيْفٌ أَلَمَّ بنا ونَحْنُ بِمَهْمَةَ ... قَفْرٍ يَشُقُّ عَلَى الُملِمَّ الخَاطِرِ

---

[١] البحتري، أحمد أحمد بدوي، دار المعارف، ١٩٦٤م، ص: ٥٨.

[٢] الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، الآمدي، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة العادل، ط٣، ١٩٥٩م، ج٢، ص: ٧ – ٨.

[٣] الشعراء المحدثون، العربي حسن درويش، ص: ٣١٠.

[٤] البحتري، صالح حسن النقلي، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٨٢م، ص: ١٣٢.

أَقْضَى إلى شَــعْثٍ تُطِيَــر كَــرَاهُم رَوْحَاتُ قُودِ كالقِسِــيِّ ضَــوَامِرِ
ورَمَوا إلى شُعَبِ الرَّحَــالِ بــأَعْيُنٍ يَكْسِرَنَ من نَظَرِ النَّعــاسِ الفــاترِ
أهوْىَ، فأَسْــعَفَ بالتَّحِيَّــة خُلْسَــة والشَّمْسُ تَلَمَعُ في جَنَــاحِ الطَّــائرِ

إنه يقيم علاقات موجبــة بــين الخيــال الزائــر للركــب الســاري عبــر الصحراء وبين الأرق الذي يعينهم علــى مواصــلة الســرى ويخشــى عليــه أن يشرده الطيف الذي لا يبتدئ إلا لنائم والخيال يتبع الركب فــي رحلــة فــي قلــب الليل حتى يجد نهزه ليلقي التحية بوجــدان الأحبــاب وقــد لمــع الشــروق فــي الأفق[1].

ونلخص شاعرية البحتري بقول فضيلة الــدكتور بــابكر البــدوي دشــين، تتجلى شاعرية البحتري في شيئين: أنغامه المطربة وانفعلاته الخافقة.

أما ناحية الأطراب في شعره فقــد تنبــه لهــا القــدماء، وفــي مقــدمتهم معاصروه الذين كانوا يسمعون إنشاده، ومن هــؤلاء الفــتح بــن خاقــان ووزيــر المتوكل، كما يفهم من هذا الخبر الذي رواه الصــولي قــال[2]: "وحــدثني أحمــد ابن يزيد المهلبي عن أبيه قــال: إنــي لعنــد الفــتح إذ دخــل البحتــري فأنشــد قصيدته:

شَرْخُ الشَّبَابِ أخُو الصِّــبَا وأَلِيفُــه والشَّيْبُ تَزْجِيَهُ الهَــوَى وخُفُوقُــهُ

فلم بلغ إلى قوله:

فَهَلُــمَّ وَعَــدَك فــي الإِمــامِ فإِنَّــه فَضْلُ إلى جدْوَى يــدَيْكَ تُضِــيفُهُ

رأيت الفتح قد اهتز وطرب لذلك فأعاد البحتري الأبيات الخ".

كيف لا يطرب ويهتز – وهو الأديب البليغ – مــن ســماع هــذه القصــيدة الفائية وفيها قول البحتري:

---

[1] المرجع السابق، ص: ١٣٣.

[2] أخبار البحتري، الصولي، ص: ٧٩.

فإذا تَحَمَّــلَ مِــنْ تَهامَــةَ بَــارقٌ لجَبٌ تَسِيرُ مَعَ الجَنُــوبِ زُحُوفُــهُ
صَــخِبُ العَشِــيِّ إذَا تَــأَلَّقَ بَرْقَــهُ ذَعَرَ الأَجَادِلَ في السَّــمَاءِ حَفِيفُــهُ

وممن تنبه لناحية الإطراب في شــعره ممدوحــه الخليفــة المعتــز، فقــد روى البحتري قوله: "يا وليد مــا أنشــدتني قــط إلا أطربتنــي". ومــن القــدماء الذين طربوا لشعره، أبو بكر الخــوارزمي، ومــن ذلــك قــول الثعــالبي عنــه: "ومن أطرف شعره وأرقه وألطفه قولــه: وكــان أبــو بكــر الخــوارزمي يقــول لانشدونيها فأرقص طرباً".

انفرد البحتري بإعادته وهي ردٌّ مطلع القصيدة بعــد الفــراغ منهــا وهــذا يدل على طرب واندفاع في الإنشاد، والحــق أن هــذه العــادة التــي امتــاز بهــا البحتري وهي رد البيت الأول من القصيدة لهــا دلالــة نقديــة قيمــة تنبــه لهــا الدكتور عبد الله الطيب حيث وضح أن فيها دلالــة قويــة علــى الوحــدة الفنيــة في القصيدة العربية، هذا ومما لا ريب فيــه أن ناحيــة الإطــراب والــنغم التــي كاد البحتري يكون فيها الشاعر المجلي من أهــم مقومــات الشــعر العربــي بــل إنها الركيزة الثابتة له التي عرفهــا أعــداء اللغــة العربيــة فحــاولوا هــدمها[1] فكانوا كما قال الأعشى:

كَنَــاطِحِ صَــخْرَةً يَوْمــاً لِيوُهِنَهــا فَلَمْ يَضِرْها وأُوهي قَرْنَه الوعِــلُ

عَدَّ عن هؤلاء وأنشد الناس قول حســان بــن ثابــت الأنصــاري رضــي الله عنه:

تَغْنَ في كُــل شِــعْرٍ أَنْــتَ قَائِلَــهُ إِنْ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشَّــعْرِ مُضْــمَارَ

وفي هذه دلالة واضحة على مكان الــوزن والعــروض والقافيــة والــنغم في الشعر العربي وهما الناحية التي فاز شاعرنا البحتــري بهــا بنصــيب وافــر. هذا ما كان من أمر الحديث عن ناحية الإطراب في شعره.

---

[1] مجلة الجامعة الإسلامية، بابكر البدري دشين، كلية الحديث الشريف بالجامعة، ص: ٢٤٨ – ٢٤٩.

أما ناحية الانفعال الخافق في شعره، فإنها أوضح من أن يدل عليها وهو معروف بإجادة فيها كما ذكر هذا الدكتور عبد الله الطيب فقال: "البحتري رحمه الله كان يحسن تصوير الانفعالية الخافقة ومن ذلك قوله:

إلىَّ أَنْ بَدَا صَحْنَ العِرَاقِ وكُشِّفَتْ

سُجُوفَ الدُّجَي عن مائِهِ ونَخِيلِهِ

والانفعال إذ قلت إن الشعر عند البحتري كله بريق ولمع ومن هنا كان الشعر عنده لمحاً كما قال:

والشَّعْرُ لَمْحٌ تَكْفِي إشارتَهِ ولَيس بالهَذْرِ طُوِّلَتْ خُطَبُهْ

هذه هي شاعرية البحتري تجملت في أنغامه المطربة وانفعالاته الخافقة. فكان حقاً كما قال ابن الأثير عنه: "وأما أبو عبادة فإنه أحسن سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر فغنى"[1].

ميزته:

البحتري طائر غريد سبح بأنغامه في أفق علوي، خصب الخيال، متنوع الأصباغ. فأشرف على جلال الطبيعة وجمالها، وحوَّم فوق جبالها ومروجها، وأنهارها وغيطانها، ورفرف على زخارف المدينة وعمرانها، فعلقت جميع هذه الصور بقوادمه وقوافيه، فصبغتها بأشكال من الرسوم والتلاوين.

ولا تقوم شاعرية البحتري على المدح أو الغزل أو الرثاء وإن برع في كثير منها، وإنما تقوم على جمال الفن وانطلاق الخيال، وإتقان الوصف والتصوير[2].

---

[1] مجلة الجامعة الإسلامية، بابكر البدري دشين، ص: ٢٥٢ – ٢٥٧.

[2] أدباء العرب في الأعصر العباسية، ص: ٢٢٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.. وبعد:

بعد هذه الدراسة مع شعر البحتري في العصر العباسي الثاني بأنواعه وأشكاله المختلفة وصلت إلى ما لهذا الشعر من أهمية، ربما كانت نتيجة كون هذا الشعر يعبر عن عاطفة إنسانية وجدت مع وجود الإنسان ولا تنتهي بنهايته، عبر الشعراء عنها بحنينهم إلى الوطن الذي هو رمز السكينة والهدوء والمرأة التي هي رمز الهناء والراحة والحرية التي هي أغلى ما يملكه الإنسان، وأيضاً عبر عن المظاهر الطبيعية الخلابة التي كانت إحدى العوامل الرابطة لهم بهذا المكان مثل البساتين والمنتزهات والأنهار والقصور وما إلى ذلك.

والصدق أحد عوامل بقاء هذا الشعر فحين يمدح الإنسان من الممكن أن يكون غير صادق ولكنه ربما دفع إلى المديح تملقاً أو تقرباً أو تكسباً للمال، وعند الرثاء قد يكون الشاعر متعلقاً أيضاً أو متقرباً لأهل المتوفى وقد يدفع ذلك إلى الوصف تلبية لرغبة حاكم أو أمير حيث يبني قصراً أو يزين مجلساً فيندفع الشعراء لوصف هذا وذاك استجابة لرغبة هذا الشخص، وكذلك بقية أغراض الشعر.

وخلصت هذه الدراسة إلى نتائج وهي على النحو التالي:

النتائج:

١/ اشتمل ديوان البحتري على ما يقرب من ألف وثلاثمائة قصيدة موزعة حسب النسب الآتية منها؛ الطويل ٢١%، الكامل ٢١%، الخفيف ١٧%، البسيط ٩%، السريع ٣%، الرمل ٢%، مجزؤ الكامل ١%.

٢/ كان البحتري متقلب المزاج في ولائه للمذاهب الدينية والسياسية.

٣/ كان البحتري ناصع البيان يتصف شعره بالرقة والجزالة مما جعله شديد الافتخار بفنه.

٣/ اعتلى البحتري منزلة كبيرة من بين أقرانه من الشعراء حيث فضله أبو تمام على شعراء عصره.

٤/ يمتاز وصف البحتري بالبساطة والواقعية تتراوح بين السذاجة البدوية والطرافة والرقة.

٥/ يمتاز شعر البحتري بغرابة الأغراض وظهور المعاني وحلاوة الألفاظ وسهولة التراكيب.

٦/ لا تقوم شاعرية البحتري على المدح أو الغزل أو الرثاء وإن برع في كثير منهما وإنما تقوم على جمال الفن وانطلاق الخيال وإتقان الوصف والتصوير.

التوصيات:

١/ دراسة شعر البحتري من الناحية التركيبية لمعرفة الانزياح النحوي والصرفي في شعره

٢/ إجراء المزيد من الدراسات الشعرية والنحوية والصرفية في شعر البحتري.

٣/ توجيه اهتمام الباحثين بدراسة اللغة العربية وعلومها وخصوصاً للشعر العربي القديم.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١	(وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ..)	الشعراء	٢٢٤-٢٢٧	أ
٢	(لئن شكرتم لأزيدنكم)	إبراهيم	٧	ج
٣	(مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا)	الجمعة	٥	١١

فهرس الأبيات الشعرية

الرقم	بيت الشعر	القائل	القافية	رقم الصفحة
١	تَكَلَّفُوا القَولَ والأَقوامُ قَد حَفلوا وحبروا خطباً، ناهيك عن خطبِ	بشار بن برد	الباء	٢٩
٢	وسَابِحٍ هَطِلِ التَعداءِ هَتَّانِ عَلى الجِراءِ أَمينِ غَيرِ خَوّانِ	أبو تمام	النون	١٢
٣	إذا مقرمٌ منّا ذرا حدّ نابه تخمّط فينا ناب آخر مقرم	أوس بن حجر	الميم	١٣
٤	يستَنْزِلُ الأمَلَ البعيدَ بِبِشْرِه بُشرَى المخيلة بالربيعِ المُغْدِقِ	أبو تمام	القاف	١٤
٥	أَلَسْتُمْ خيرَ من ركب المَطَايَا وأندَى العَالمينَ بُطونَ راحٍ	جرير	الحاء	٤٥
٦	كَنَاطِحِ صَخْرَةً يَوْماً لِيوُهِنَها فَلَمْ يَضِرْها وأُوهي قَرْنَه الوعِلُ	الأعشى	اللام	٨٤
٧	تَغْنَ في كُل شِعْرٍ أَنْتَ قَائِلَهُ إِنْ الْغِنَاءَ لِهَذَا الشَّعْرِ مُضْمَارَ	حسان بن ثابت	الراء	٨٤
٨	ألم تَرَ أنْ الفقرُ يُرجى لهُ الغِنَىْ وأنْ الغِنَىْ يُخَشَىْ عَلَيْهِ مِنْ الفقرِ	أبو العتاهية	الراء	٣٣

المصادر والمراجع

١/ أخبار البحتري للصولي هو أبي بكر محمد بن يحي بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول تكين المعروف بالصولي، تحقيق: صالح الأشتر، ط٢، دار الفكر، دمشق.

٢/ أدب العرب في الأعصر العباسية، بطرس البستاني، ج٢، دار هارون عبود للطباعة، بيروت، ١٩٧٩م.

٣/ الأدب في عصر العباسيين، محمد زغلول سلام، مطبعة المعارف، الإسكندرية.

٤/ أدباء العرب في العصور العباسية، طبعة جديدة، دار نظير عبود، بطرس البستاني.

٥/ أعلام في الشعر العباسي، حسن الحاج حسن، ط١، المؤسسة الجمعية، بيروت، ١٩٩٣م.

٦/ الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج٢١، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧/ البحتري، أحمد أحمد بدوي، دار المعارف، ١٩٦٤م.

٨/ البحتري، صالح حسن النقلي، دار الأندلس، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

٩/ تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، عمر فروخ، دار العلم للملايين.

١٠/ تاريخ الأدب العربي العباسي الأول، د. شوقي ضيف، مصر: دار المعارف، ط٦، ١٩٨٦م.

١١/ تاريخ الأدب العربي، إبراهيم السعافيني، هشام ياغي.

١٢/ تاريخ الأدب العربي، حنا الفاخوري، الطبعة الثانية عشر، منشورات المكتبة البوليسية، لبنان.

١٣/ تاريخ الأدب العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط.١٢

١٤/ تاريخ الأدب العربي، هشام ياغي، وآخرون، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، ط١، القاهرة.

١٥/ تاريخ الأدب في العصر العباسي، مصطفي السيوفي، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٨م.

١٦/ الثعالبي، ابن رشيق، ابن الأثير، المثل السائر، أخبار البحتري، الصولي. أمراء الشعر العربي في العصر العباسي، أنيس المقدسي، دار العلم للملايين، بيروت.

١٧/ الحماسة، أبو عبادة البحتري، شرح: كمال مصطفي، ط١، الرحمانية، القاهرة، ١٩٢٩م.

١٨/ ديوان البحتري، بدر الدين الحاضري، دار الشرق العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

١٩/ ديوان البحتري، ج١، تحقيق وشرح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٣م.

٢٠/ ديوان المعاني، أبو هلال العسكري، ج٢، مكتبة المقدسي، القاهرة، ١٩١١م.

٢١/ شعر البحتري – دراسة فنية، خليفة الوقيان، المؤسسة العربية، ١٩٨٥م.

٢٢/ الشعر الهزلي العباسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري، وليد عبد المجيد إبراهيم، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، ٢٠١١م.

٢٣/ الشعراء المحدثون، العربي حسن درويش، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

٢٤/ الشعر والشعراء في العصر العباسي، مصطفي الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط٦، ١٩٧٩م، كانون الثاني/ يناير ١٩٨٦م.

٢٥/ الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، ط١٠، دار المعارف.

٢٦/ الفن ومذاهبه في العشر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، ط.١٠

٢٧/ المثل السائر، ابن الأثير الجزري، محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٨/ المثل السائر، ابن الأثير، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد.

٢٩/ مجلة الجامعة الإسلامية، بابكر البدري دشين، كلية الحديث الشريف بالجامعة.

٣٠/ مرجعية الشعر العباسي بين الخبر والنص، عبد الله التطاوي، الدار المصرية اللبنانية، ط.١

٣١/ المرشد إلى فهم أشعار العرب، عبد الله الطيب، مطبعة بيروت، ط٢، ج١، ١٩٧٠م.

٣٢/ مقدمة ديوان البحتري، ج١، شرح وتحقيق: حسن كامل الصيرفي.

٣٣/ من حديث الشعر والنثر، طه حسين، ط١، ١٩٣٧م، مطبعة الصاوي، القاهرة.

٣٤/ الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ج٢، الآمدي، محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة العادل، ط٣، ١٩٥٩م.

٣٥/ موسيقى الشعر، إبراهيم أنيس، ط٥، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧١م.

٣٦/ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين "ابن خلكان" حققه: إحسان عباس، مج٦، دار صادر، بيروت.

الرسائل العلمية:

١/ أبو عبادة البحتري، بابكر البدوي الدشين، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ١٩٧٠م.

٢/ البنية اللغوية عند وصف الشاعرين البحتري وابن المعتز، عاطف محمد عبد الله الطاهر، رسالة دكتوراه، جامعة الخرطوم.

٣/ مريم بشير وداعة، أنواع الجمل مطبقة في شعر البحتري، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، ٢٠٠٨م.

٤/ وصية أبي تمام للبحتري، الطيب بشير عثمان البشير، رسالة ماجستير، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.